وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
الشيخ مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي
قسم اللغة العربية وآدابها

نماذج محاضرات مقياس:
الحضارة العربية الإسلامية

إعداد الأستاذ:
ساعد غلاب

السنة الجامعية:
1442 هـ- 1443 هـ / 2021 م- 2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

العناوين	رقم الصفحة
الفهرس العام	01
تمهيد	03
المحاضرة الأولى ((01)): [الجزء الأول]	
الحضارة: تعريفها، نشأتها، عددها، مسارها، أنواعها.....	05
المحاضرة الأولى ((01)): [الجزء الثاني]	
الحضارة: تعريفها، نشأتها، عددها، مسارها، أنواعها.....	18
المحاضرة الثانية ((02))	
مناهج دراسة الحضارة الإسلامية، والمنهج المقترح لدراسة وتدريس هذه المادة ...	33
المحاضرة الثالثة ((03))	
دراسة الحضارة الإسلامية: الأهمية، الدوافع، الأهداف	48
المحاضرة الرابعة ((04)): [الجزء الأول]	
مصادر الحضارة الإسلامية	60
المحاضرة الرابعة ((04)): [الجزء الثاني]	
مصادر الحضارة الإسلامية	77
المحاضرة الخامسة ((05)): [الجزء الأول]	
خصائص الحضارة الإسلامية	90
المحاضرة الخامسة ((05)): [الجزء الثاني]	
خصائص الحضارة الإسلامية	108

المحاضرة السادسة ((06)): [الجزء الأول]	
منجزات الحضارة الإسلامية	131
المحاضرة السادسة ((06)): [الجزء الثاني]	
منجزات الحضارة الإسلامية	171
المحاضرة السابعة ((07)): [الجزء الأول]	
معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة	197
المحاضرة السابعة ((07)): [الجزء الثاني]	
معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة	211
المحاضرة الثامنة ((08))	
معالم الحضارة الإسلامية في عهد الخلافة الراشدة	229
المحاضرة التاسعة ((09))	
شبهات حول الحضارة الإسلامية	248

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان وكرّمه، وعلى كثير ممن خلق فضّله، استخلفه في الأرض واستعمره فيها، وسخر له ما في السموات وما في الأرض؛ ليقوم بأعماله ووظائفه، ويحقق المقصود من إيجاده؛ وهو توحيد الله تعالى في عبادته.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، خلق الناس من ذكر(آدم) وأنثى(حواء)، وجعلهم شعوبا وقبائل؛ ليعرف بعضهم بعضا، لا ليعلو بعضهم على بعض؛ لأن التمايز لا يكون إلا بتقوى الله تعالى.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، الذي بنى أعظم دولة في التاريخ، على قواعد صحيحة، وأسس متينة، مؤيّدة بهداية القرآن الكريم، ومُبيّنة بسنة المصطفى الأمين، صلى الله عليه، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه المباركين، الذين كانوا معه بقلوبهم وأرواحهم وأنفسهم وأهلهم وأموالهم مجاهدين ومؤيدين وناصرين، رضي الله عنه وأرضاهم أجمعين.

أما بعد فهذه تقييدات لمحاضرات مقياس الحضارة العربية الإسلامية، أقدمها إلى طلبتي الأعزاء في السنة الأولى (أستاذ التعليم الثانوي، وأستاذ التعليم المتوسط) بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، الشيخ مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي، بقسم اللغة العربية وآدابها.

واتبعت في عرض مادة هذا المقياس المنهج التالي:

1/ أقدم المحاضرة بذكر أهم أهدافها؛ التي يُراد للطالب أن يصل إليها.

2/ أُثني بذكر أهم المراجع التي رجعت إليها لجمع مادة المحاضرة، وذلك حتى يرجع إليها من يريد التثبت من المعلومات الواردة، ويتوسع من يريد التوسع والاستزادة.

3/ قسّمتُ بعض المحاضرات إلى جزئين؛ لعدم إمكانية إلقائها في محاضرة واحدة.

4/ وثقت المعلومات المقتبسة في هامش كل صفحة .

5/ التزمت بمحاور المقياس بطريقة فيها نوع من التجديد، مع المحافظة على القصد الأساس من تدريس هذا المقياس.

وأختم بأن الأستاذ يقبل أيّ نقدٍ علميٍّ بناءٍ لمحتوى هذه المحاضرات، فهذا عملٌ بشريٌّ يعتريه الخطأ والنقص لا محالة.

يقول القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني [ت: 596هـ] -رحمه الله تعالى-:

((إني رأيتُ أنه لا يكتب أحدٌ كتاباً في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زِيد هذا لكان يُستحَسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل. وهذا أعظم العِبر، وهو دليلٌ على استيلاءِ النقصِ على جملة البشر))[من: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله (المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة)[ت: 1067هـ]. 1/14].

والله أسأل أن يوفقنا لخدمةِ العلمِ وأهلِه.

أستاذ المادة: د.ساعد غلاب

المحاضرة الأولى ((01)):
[الجزء الأول]

الحضارة:
تعريفها، نشأتها، عددها، مسارها، أنواعها

يرتكز الدرس على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

1) أهداف المحاضرة الأولى.

2) أهم مراجع المحاضرة الأولى.

3) تعريف الحضارة في اللغة العربية.

4) التعريف الاصطلاحي للحضارة عموما.

5) أنواع التعاريف للحضارة عموما من حيث التركيز على الجانب المادي أو المعنوي أو عليهما معا:

- من التعاريف المختار للحضارة عموما.
- بين الحضارة والعمران. (المصطلح الأليق).

أهداف المحاضرة الأولى:

1/ تحديد المعنى اللغوي للحضارة، وبيان الألفاظ ذات الصلة بها.

2/ تعيين المعنى الاصطلاحي العام للحضارة، وذكر التعريف المختار لها.

3/ بيان نشأة الحضارات ومهدها وعددها ومسارها.

4/ ذكر المعنى الاصطلاحي للحضارة الإسلامية، وبيان أنواعها.

5/ الفرق بين إطلاق(الحضارة الإسلامية) و(الحضارة العربية) و(الحضارة العربية الإسلامية).

أهم مراجع المحاضرة الأولى:

1/ أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية. أحمد علي الملا. ط/2. 1981/1404. دار الفكر دمشق.

2/ الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. حسين مؤنس.ط/2. 1419هـ/1998م. عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب–الكويت.ص/13.

3/ الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل.عبد الحليم عويس. ط/1. 1431هـ/2010م. الصحوة للنشر والتوزيع. ص: 11، 14، 17.

4/ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.ص: 15،25، 39.

5/ الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة. شوقي أبو خليل ط/2. 1417هـ/1996م. دار الفكر بدمشق. ص:19.

6/ الحضارة الثقافة المدنية. دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم. نصر محمد عارف. ط/2. 1415هـ/1994م.المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الولايات المتحدة الأمريكية.

7/ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية. حسان حلاق.ط/2. 1419هـ–1999م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.ص:6.

8/ دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل.ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق. ص:9.

9/ خصائص الحضارتين الإسلامية والغربية . دراسة في الحوار الحضاري .أطروحة تقدم بها رعد سليمان حسين الجبوري .إلى مجلس كلية أصول الدين/ الجامعة الإسلامية. وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة أصول الدين/ تخصص فكر إسلامي .1427هـ-2007م.

10/ ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني.ط/2.1430هـ-2009م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.القاهرة.ص:4-8.

11/ مدخل إلى الحضارة الإسلامية: عماد الدين خليل. ص/11.

12/ منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. نصر الدين مصباح القاضي. ط/1. 1424هـ-2002م. دار الفكر للطبع والنشر. القاهرة.ص:88.

13/ أصول التربية الحضارية في الإسلام. هاشم بن علي بن أحمد الأهدل.ط/1. 1428هـ-2007م. سلسلة الرسائل الجامعية:75. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

14/ مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم. عمار توفيق أحمد بدوي. قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين. 2005.

أولا: تعريف الحضارة في اللغة العربية :

(حضر) الحاء والضاد والراء إيراد الشيء، وروده ومشاهدته. وقد يجيء ما يبعد عن هذا وإن كان الأصل واحدا.

حضر يحضر حضورا، والحضور نقيض المغيب والغيبة.

والحضَر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي وفي الحديث: ((لا يبيعْ حاضرٌ لِباد)) .

والحاضر المقيم في الحضَر، والبادي المقيم في البادية.

والحضارة الإقامة في الحضر، والحاضرة خلاف البادية. وبهذا المعنى استعملها القطامي الشاعر في قوله مفتخراً ببداوة قومه، مستخفاً بساكني القرى والمدن.

فمن تكن الحضارة أعجبته فأيّ رجال بادية ترانا.

ملاحظة:

لم يرد في لسان العرب استعمال الحضارة بالمعنى المتعارف عليه، كما لا نجد في القرآن الكريم ذلك، إلا أن بعض الباحثين قام بمحاولة رد الحضارة إلى أصل معناها اللغوي الذي أشار إليه ابن فارس ثم اجتهد في تتبع هذا الأصل في القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول من مصادر الحضارة. وسنأتي على هذه المحاولة في موضعها.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الحضارات باستعمال ألفاظ أخرى غير لفظ الحضارة؛ منها:

أ/ الأمم؛ كقوله تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ }[الأنعام: 42].

ب/ القرى؛ كقوله تعالى:{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ} [هود: 100].

ج/ القرون؛ كقوله تعالى:{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا }[الإسراء:17].

د/ يسميها بأسماء معينة؛ كعَاد وإرمَ وثمودٍ، كما في قوله تعالى:{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9)}[الفجر: 6-9].

ويمكن استنباط أسس الحضارة (الإنسان-المكان-الزمان) من الاستعمال القرآني السابق، فالأمم إشارة إلى أساس الإنسان، والقرى إشارة إلى أساس المكان، والقرون إشارة إلى أساس الزمان.

ثم صار لكلمة الحضارة حقيقة عرفية واصطلاحية سأبينها فيما يلي.

تعريف الحضارة في الاصطلاح.

التعريف الاصطلاحي للحضارة سيكون باعتبارين:

الاعتبار الأول: التعريف الاصطلاحي للحضارة عموما، وهذا التعريف لا يتناول حضارة بعينها وإنما يتناول كل الحضارات باختلاف عقيدتها ولغتها وتاريخها وسائر خصائصها.

الاعتبار الثاني: التعريف الاصطلاحي للحضارة الإسلامية خصوصا، حيث يكون التقيد فيه بخصائص الحضارة الإسلامية دون غيرها.

أولا: التعريف الاصطلاحي للحضارة عموما.

لا أستطيع في هذا المقام أن أذكر كل تعاريف الحضارة لكثرتها فهي -ولست مبالغا- بالعشرات، ولكن يمكن أن أعطي صورة عامة عنها مع ذكر بعض التعاريف النموذجية والخلوص إلى التعريف المختار.

أنواع التعاريف من حيث التركيز على الجانب المادي أو المعنوي أو عليهما معا:

أ. تحديد معنى الحضارة بالتركيز على الجانب المادي المدني.

مثال: الحضارة هي الانتقال من حياة البداوة إلى حياة الحضر، وهي المرحلة المتقدمة للمجتمع الإنساني-الحضارة هي أنماط متقدمة وراقية لأساليب الحياة الإنسانية، والمعيشة البشرية-الحضارة هي المدنية.

ومن يسلك هذا المسلك المادي في تفسير الحضارة تراه يعتبرها من الأمور الترفيهية التي تؤدي إلى راحة الإنسان وسهولة حياته، ولا ينظر بذلك إلى داخل الإنسان، ولا ينظر كذلك إلى المعتقدات الفكرية، ولا إلى الأخلاق والمبادئ والقيم كأحد العوامل الرئيسة في تقييم أمة أو مجتمع، وهؤلاء هم معظم اللادنيين بمن فيهم من الشيوعيين والرأسماليين، وهم يعتبرون الحضارة والمدنية مترادفتين، فهم يعرفون المدنية على أنها: "الرقي في العلوم العلمية والتجريبية؛ كالطب، والهندسة، والكيمياء، والزراعة والصناعة والاختراع الآلي".

ومن هذا الصنف من يغرق في التمادي في إنكار الأخلاق؛ مثل: (كليسكليس)، و(نيتشة)، وغيرهم من الفلاسفة الذين يقولون: ((الحضارة هي القضاء على العدل والأخلاق، وترك العنان لطبيعتنا الحرة السافرة لتفعل ما تشاء، ولو أدى ذلك إلى أن تسير على الجماجم...إن الأخلاق ليست إلا اختراع الضعفاء؛ لكي يقيِّدوا بها سلطان الأقوياء، فلنكن حربا على الأخلاق)).

أما الصنف الآخر من الماديين فهم كما يبدو من كتاباتهم لم يقصدوا التقليل من شأن الأخلاق، إنما اعتبروا الحضارة لفظا ماديا بحتا، لا علاقة له بأخلاق الإنسان.

وهذا يبدوا واضحا من كلمات ابن خلدون مثلا حيث يقول: ((الحضارة هي التفنن في الترف، واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تُؤنَّق من أصناف وسائر فنونه، من الصنائع المهيأة للمطابخ أو الملابس، أو المباني، أو الفرش، أو الأواني، ولسائر أحوال المنزل، ويلزم هذا التأنق صناعات كثيرة)).

ولا ريب أن ابن خلدون لا يقصد استبعاد الأخلاق والقيم من الحضارات، حيث إنه يثبت لها دورا أكيدا في بناء الأمم، ولكن كان يعتبر لفظة ((الحضارة)) لفظة مجردة تصف الحياة في الحضَر، وما يستتبعها من تطور.

ب. تحديد معنى الحضارة بالتركيز على الجانب المعنوي الثقافي.

مثال: الحضارة هي خصوصية كل أمة من الأمم وتميزها عن سواها، بعاداتها، وثقافاتها، وسلوكياتها، وردود أفعالها، وخلاصة تجاربها، وتنظيماتها- الحضارة هي المظاهر الفكرية التي تسود أي مجتمع-الحضارة هي: العقل.

وأصحاب هذه الطريقة إنما ركزوا على الجانب المعنوي الثقافي لقيمته وفضله وكونه منبعا ومصدرا للمدنية المادية التي تتوقف مظاهرها المتعددة على التقدم الثقافي والعلمي والفكري مع الالتزام بالمنهج الديني والمسلك الأخلاقي في جميع ميادين الحضارة ومجالاتها.

مع التنبيه إلى وجود من يفصل بين الدين والأخلاق والعلم من الغربيين وسنبين هذا في موضعه عند الحديث عن خصائص الحضارة الإسلامية.

ج. تحديد معنى الحضارة بالجمع بين الجانب المادي المدني والجانب المعنوي الثقافي.

مثال: الحضارة هي: ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان؛ لتحسين ظروف حياته، سواء أكان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية- الحضارة هي: كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلا وخلقا، مادة وروحا، دنيا ودين- الحضارة هي: تقدم المجتمع وتفوقه في المجالات المادية والمعنوية والتنظيمية.

وأصحاب هذه الطريقة وإن جمعوا بين المكون المادي والمعنوي للحضارة وهما المدنية والثقافة إلا أنهم يختلفون في فهمهم للمدنية والثقافة وتفسيرهم لهما، وهذا راجع إلى معتقداتهم ومذاهبهم ومناهجهم.

فمفهوم المدنية عند المسلمين غير مفهومها عند الغربيين، وكذلك الثقافة... لأن مضمون المدنية الإسلامية والثقافة الإسلامية غير مضمونهما عند الغربيين؛ لاختلاف الدين والتشريع والآداب والأخلاق ... ولهذا يصعب جدا إيجاد تعريف مشترك للحضارات لوجود مؤثرات فارقة في مفهوم كل حضارة.

أنواع التعاريف من حيث التركيز على الإنسان أو على إنتاجه.

أ. تحديد معنى الحضارة بالتركيز على الإنسان نفسه.

يَعتبر أصحاب هذا المسلك أن رقي الإنسان في سلوكه، وأخلاقه ومعاملات هو الحضارة، وهذا اتجاه جميل لا شك، يقدر قيمة الإنسان ويرفعه فوق المادة، ويهتم بالفكر والعاطفة معا، ومن هؤلاء على سبيل المثال مالك بن نبي الذي يعرف الحضارة بقوله:" هي البحث الفكري والبحث الروحي" ، ويقول محمود سفر:" هي مزيج من الرقي في مجالات شتى كالأخلاق، والسلوك، والتربية، والعلوم التجريبية، والبحتة". وفي هذين التعريفين الاهتمام بالإنسان ذاته داخليا، ومدى رقي أفكاره وأخلاقه.

ب. تحديد معنى الحضارة بالتركيز على إنتاج الإنسان.

وأصحاب هذه الطريقة لا ينظرون إلى داخل الإنسان كأصحاب الرؤية السابقة، وإنما ينظرون إلى ما أنتجه هذا الإنسان في مجتمعه، وقد ينظرون إلى إنتاجه بشكل شامل في كل المجالات، أو يهتمون بجانب على حساب جانب آخر، فحسين مؤنس مثلا يرى أن الحضارة في مفهومنا العام هي: ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء كان الجهد المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية.

فهو ينظر نظرة شاملة إلى جهد الإنسان وإنتاجه، بينما يخصص (ول ديورانت) الإنتاج البشري بالثقافة والفكر، ويجعل بقية العوامل في الحياة مؤدية إلى هذا الإنتاج، فيقول: " الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على زيادة إنتاجه الثقافي بعناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والعقائد الخلقية، ومتابعة العلوم والفنون".

من التعاريف المختار للحضارة عموما.

أولا: تعريف عبد الكريم بكار.

الحضارة تعني نوعا من الامتزاج بين والتفاعل بين العقائد والتصورات والأخلاق والنظم الاجتماعية وما توفر من معطيات ثقافية مع الخبرات الفنية والعملية، لينتج عن ذلك وفرة في عالم الأشياء، وسيطرة أكثر على الطبيعة، وخروج عن حيز الضرورات إلى الشعور بالتأنق، وتعدد الخيارات.

ثانيا: تعريف راغب السرجاني.

الحضارة هي قدرة الإنسان على إقامة علاقة سوية مع ربه، والبشر، والذين يعيش معهم، وكذلك البيئة بكل ما فيها من ثروات.

وكلما ازدادت هذه العلاقة سموا، زادت الحضارة رُقِيا وتقدما، وكلما قلَّت هذه العلاقة وضعفت، صار الإنسان متخلفا منحدرا.

بين الحضارة والعمران.

هذه محاولة عمار محمد النهار لاقتراح المصطلح الأمثل والأليق بالمفهوم المراد، من غير مصلح الحضارة، والذي له صلة بالأصل العربي، ولا تَأثُّر له بالمفهوم الغربي. وانتهى صاحب المحاولة إلى اختيار (العمران) بدل الحضارة؛ لاعتبارات تراها في محاولته التي لخصتها كالتالي:

إذا كان مصطلح الحضارة لا يكفي للدلالة على المفهوم المراد رغم التحفظات الموردة عليه، فما هو اللفظ الذي يمكن أن يطرح بديلا له ؟

إن عناصر مفهوم الحضارة هي: الإنسان، والبيئة، والزمن. ولكن هذه العناصر الثلاثة: (الإنسان، والبيئة، والزمن) لا تعمل وحدها؛ إذ لا بد أن يكون هناك غاية (هدف) يسعى إليه، وتعاون اجتماعي يعمل على تحقيق هذا الهدف وتلك الغاية، ولإخراج هذا الهدف إلى الواقع لا بد من الاستقرار والاستمرار إضافة إلى التعاون، ولقيام هذا التعاون لا بد من وجود نوع من أدوات الاتصال (اللغة والكتابة مثلا)، ولا بد من وجود نوع من العلاقات الاجتماعية، ونوع من الحكم المنظم، والسلطة المؤثرة، وقوانين (أو أعراف) منظمة.

ومن هنا نجد أن الإنسان في سعيه لتحقيق هدف راحته وسعادته (الجسدية والعقلية والنفسية والروحية) يعمل في دوائر نشاط متعددة ومتداخلة، نتجت من طبيعة الإنسان وتفاعله جماعيا مع بيئته خلال الزمن، هذه الدوائر هي: دائرة النشاط المعنوي والمعرفي، وتشمل: الجوانب العقدية والروحية والفكرية، ودائرة النشاط المادي، وتشمل: الجوانب الاقتصادية والتقنية والمعمارية..، ودائرة النشاط الإداري، وتشمل: النظم والمؤسسات السياسية والإدارية.

فما هي الكلمة التي تصلح أن تدل على هذه المفاهيم ؟

إن أقرب كلمة تدل على هذه المفاهيم هي الكلمة التي اختارها العلامة ابن خلدون: (العُمران)، فهي أقرب الكلمات في اللغة العربية، وأقربها إلى الاستعمال القرآني، بل لا تدانيها لفظة أخرى في اللغات الأجنبية للدلالة على هذه المفاهيم.

فأصل مادتها واشتقاقاتها تتضمن الجانبين: المادي، والمعنوي، وتتضمن أيضا: البقاء (الاستمرار)، والامتداد الزمني، والاجتماع، والكثرة (أو الانتشار)، والعلو (السمو والتقدم).

يقول ابن فارس[395هـ] عن العمران:" العين والميم والراء، أصلان صحيحان، أحدهما يدل على: بقاء، وامتداد زمان، والآخر على: شيء يعلو... ومن الباب: عمارة الأرض، يقال: عمر الناس الأرض عمارة..." ، ويقول الأزهري [370هـ] :" عمرت ربي أي عبدته، وفلان عامر لربه، أي: عابد، قال: ويقال: تركت فلانا يعمر ربه، أي: يعبده، وقال الله عز وجل:{هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا }[هود:61]، أي: أذن لكم في عمارتها واستخراج قوتكم منها... ورجل عمار، وهو الرجل القوي الإيمان الثابت في أمره.. قال: والعمار: الزين في المجالس مأخوذ من العمر، وهو القُرط، والعمار: الطيب الثناء والطيب من الروائح... "، ويقول أيضًا:" وعمار: المجتمِع الأمر اللازم للجماعة الحِدِب على السلطان، مأخوذة من العمارة، وهي القبيلة المجتمعة على رأي واحد، قال: وعمار: الرجل الحليم الوقور في كلامه وفعاله...، وعمار مأخوذ من العمر، وهو البقاء فيكون باقيا في إيمانه وطاعته

وقائما بالأمر والنهي إلى أن يموت، وقال: وعمار: الرجل يجمع أهل بيته وأصحابه على أدب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام بسنته...".

وعلى هذا تكون (العمران) التي هي مصدر عمر يعمر كلمة محايدة أيضًا لا تفيد مدحًا، ولا ذمًا، فقد يكون عمران قوم فاسدًا أو باطلا، وقد يكون صالحا أو فاسدا، وقد يكون فيه جانب من هذا أو جانب من ذاك، تماما مثل كلمة دين التي قد تعني دين الحق أو تعني دينا باطلا.

وبمثل الاستعمال اللغوي جاء الاستعمال القرآني: يقول الله تعالى:{ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }[الروم:9]. وقد بين لنا القرآن في مواضع أخرى بعض أنماط هذا العمران لأقوام؛ فقوم عاد قال لهم نبيهم هود عليه السلام:{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (128) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (129) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (130)}[الشعراء: 128-130]، وقوم ثمود الذين قال لهم نبيهم صالح عليه السلام في معرض التذكير بمنة الله عليهم :{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}[هود:61]،وقال لهم في موضع آخر في معرض المنة أيضًا: { وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}[الأعراف:74]. وقال أيضا:{ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149)}[الشعراء: 146-149].

ومن الاستعمال القرآني بمعنى العبادة (الشق المعنوي) قوله تعالى في العمران الحق:{ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }[التوبة:18]، وقوله تعالى في العمران الباطل:{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ}[التوبة:17].

ومن الاستعمال بمعنى التشييد والإعمار المادي قوله تعالى:{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}[التوبة:19].

ومن الاستعمال بمعنى الامتداد الزمني قوله تعالى:{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}[البقرة: 96].

ملاحظة مهمة:

هذه التعريفات وغيرها –مما لم أذكر والتي تتنوع بحسب ما تركز عليه– متأثرٌ غالبها بالمفهوم الغربي للحضارة والذي يرجع إلى كلمتين هما المدنية والثقافة.

أ/المدنية (Civilization): التي تعني المدني أو المواطن الساكن في المدينة. وهذا المعنى قريب من المعنى المقصود في كلام الفلاسفة العرب الذين تأثروا بالترجمات اليونانية عندما كانوا يذكرون أن (الإنسان مدني الطبع)، ويعنون بذلك: أنه (اجتماعي)، فمدني هنا كانت تعني: (أهلي)، أي: إنه غير وحشي.

ب/ الثقافة (culture): من فعل Colere بمعنى حرث أو نمى، وقد ظلت اللفظة مقترنة بمعنى حراثة الأرض وزراعتها طوال العصرين: اليوناني، والروماني ... ثم انتهى بها المطاف أن اكتسبت في القرنين التاسع عشر والعشرين مضمونًا اجتماعيًا؛ حيث أصبحت تدل على التقدم الفكري الذي يحصل عليه الفرد أو المجموعات أو الإنسانية بصفة عامة.

واستخدم الغرب المدنية بالمفهوم الشامل للجانب المادي والمعنوي، ثم قام المترجمون باستعمال حضارة ترجمةً لـ (Civilization) التي هي المدنية بمفهومها الشامل عند الغرب. وبسبب التضارب بين مفاهيم اللفظين (Civilization) و (culture) عند الأوربيين انتقل هذا التضارب إلى الترجمة العربية.

حيث عبرت (المدنية) أحيانًا عن الشقين معًا، وأحيانًا أخرى عبرت (الحضارة) عنهما، وأحيانًا عبرت (المدنية) عن الشق المادي، و (الحضارة) عن الشق المعنوي، وأحيانًا أخرى عبرت (الحضارة) عن الشق المادي، تاركة للشق المعنوي المعرفي كلمة (الثقافة) ... وهكذا اضطرب ارتباط المفهوم مع المصطلح، وإن كان يكثر في السنوات المتأخرة إطلاق لفظ (الحضارة) على الشقين المادي والمعنوي، مع بعض الميل إلى استخدام (المدنية) في الجوانب المادية، تاركا (الثقافة) لجهود الفرد في تنمية وعيه ومعارفه وذوقه؛ بخلاف (الحضارة) التي تتسم بالجماعية.

المحاضرة الأولى ((01)):

الحضارة:

تعريفها، نشأتها، عددها، مسارها، أنواعها

[الجزء الثاني]

يرتكز الدرس على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

- النقد الإسلامي للمفهوم الغربي للحضارة.
- أقسام المدنية.
- مهد الحضارات العالمية وبدايتها ومنشؤها.
- عدد الحضارات.
- مسار الحضارات.
  - تعريف الحضارة الإسلامية.
  - تنبيه منهجي مهم في تعريف الحضارة الإسلامية.
  - نماذج من تعريفات الحضارة الإسلامية.
  - محاولة متميزة لتعريف الحضارة الإسلامية.
- أنواع الحضارة الإسلامية.
- معنى نسبة الحضارة إلى الإسلام وإلى العربية.
- هل نقول: (حضارة عربية) أو (حضارة إسلامية) أو حضارة (عربية إسلامية)؟

النقد الإسلامي للمفهوم الغربي للحضارة.[1]

انتُقد المفهوم الغربي للحضارة من قِبَل المفكرين المسلمين من عدة جوانب منها:

أولا: ارتباط مفهوم (الحضارة) بالمدن والنظرة الأوروبية للتطور أخرج مجتمعات بشرية مما يسمى بالمجتمعات البدائية من دائرة الحضارة، وهذا لا يستقيم إنسانيا؛ فالحضارة ميزة إنسانية نظرا لتفرد تكوين الإنسان العقلي والنفسي والعضوي، وهذا ما عناه ابن خلدون في مقدمته عندما أدخل البدو (بدون مدن) في مراحل العمران، وقريب من ذلك تقريرات علماء الإنثربولوجيا؛ فهم يقصدون بالحضارة: جماع حياة أي مجتمع بدائي أو متقدم؛ فلكل جماعة إنسانية من النشاط الحضاري ما تهيأ لها؛ لتتكيف مع بيئتها، وتحقق غايتها من التحسين والسعادة. وهكذا يكون لكل جماعة إنسانية حضارتها التي أبدعتها، وكما أنه ليست هناك جماعات كاملة التحضر كذلك لا توجد جماعات وحشية أو بدائية تمامًا.

ثانيا: إن مفهوم (الغرس، ثم الإنماء، ثم الحصد) في كلمة (culture) جعل كثيرًا من الباحثين ينظرون إلى (الحضارة) على أنها تسير في خط تصاعدي دومًا، حتى إن بعض المفكرين ك(هيجل) و(كانْت) و(فيكو) على فروق بينهم قسموا التاريخ إلى ثلاث مراحل: مرحلة الهمجية، ومرحلة البربرية، ومرحلة (الحضارة)، وبناء على ذلك المفهوم تكرست النظرة إلى أحوال المجتمع الأوروبي المعاصر على أنها (الحضارة)، بينما المجتمعات الأخرى الماضية أو المعاصرة مجتمعات همجية، أو في أحسن الأحوال في مرحلة متدنية من (الحضارة)، ولذلك ظهرت عبارات مثل: (المجتمعات المتخلفة)، (المجتمعات النامية)، (اللحاق بركب الحضارة)، (تضييق الفجوة)... وفي الوقت نفسه أعطى هذا المفهوم تصورًا عن قيم المجتمع الأوروبي الذي يدعي قمة (الهرم الحضاري) ومعتقداته وأنماط سلوكه ووسائل حياته.. أنها الأرقى والأصلح، بينما عُدت قيم المجتمعات الأخرى ومعتقداتها وأنماط سلوكها رجعية ومتخلفة، ومن ثم: ظهرت عبارات مثل: (رسالة الرجل الأبيض)، (اتباع الحضارة الغربية بحلوها ومرها)، (الدور التحضيري لأوروبا) ...

([1]) مقرر الحضارة العربية الإسلامية عمار محمد النهار الجامعة السورية الافتراضية-كلية الاقتصاد (ص/8-11).

ثالثا: إن هذا المفهوم بخلفياته التاريخية الأوروبية ولّد نوعًا من فكر التبعية تجاه الغرب؛ فنسق التطور الأخير للمدينة الأوروبية أوجد مدنا كبيرة بمثابة مراكز عالمية تمثل بؤرًا تتشابك حولها مدن مختلفة رغم تباعدها، غير أنها ترتبط بالمدينة (الأم)، وتكون هذه المدن أخوات في المدينة الأم، وهذه هي النظرة الإغريقية نفسها تجاه المدينة الأم (أثينا)، ولكن طبيعة العلاقات المعاصرة أوجدت أنماطا من الارتباطات مختلفة عن تلك التي كانت على عهد الإغريق، ومن هنا تكرست النظرة إلى طبيعة العلاقة المفترضة بين دول العالم (النامي) ودول العالم (المتحضر) بأنها علاقة تبعية، ثم نشأت المحاور والأحلاف والعلاقات الخاصة مع المراكز (الحضارية) الأوروبية.

ومن جهة أخرى: فإن انبهار العالم (النامي) بحضارة أوروبا ونظرة كثير من مثقفيه المهزومين نفسيا إلى كون الحضارة: نقلا وغرسا وإحلالا، أوجد بيئة خصبة للدعوة إلى استبعاد الثقافة والمعارف بل والقيم المحلية وتنحيتها؛ بوصفها رجعية متخلفة، لتفسح المجال لـ(الثقافة الجديدة) و (ثقافة اليوم) و (ثقافة المستقبل)، ومن ثم: للحضارة الجديدة.

رابعا: إن المفهوم الأوروبي مستمد من القيم والأخلاق والأنماط التي أوجدتها المدينة الأوروبية بعد تطورها الأخير، ولذلك فإن هذا المفهوم ينسب إلى (المدينة)؛ فالمدينة في الغرب مصدر للقيم والسلوك، القيم والسلوك اللذيْن ظهرا في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين؛ حيث تطورت المدينة الأوروبية وانتشر فيها نمط حياة الترف وما صاحبه من أفكار وعلاقات اجتماعية وسياسية مستحدثة، وهذا بخلاف التصور الإسلامي، بل والتاريخ الإسلامي اللذيْن يختلفان عن التصور والتاريخ الأوربيين؛ فالمدينة إسلاميا هي التي خرجت من رحم القيم والسلوكيات الإسلامية وليس العكس؛ فهي مدينة؛ لأنها ذات شرعة (دين) وسلطان؛ فهي إحدى صور تشكل حياة المسلمين، وهكذا كانت حضارة الإسلام وليدة هذا الدين، ولذلك صاحب تغيير الرسول صلى الله عليه وسلم لاسم (يثرب) إلى (المدينة) إعادة تشكيل المجتمع الجديد وفق القيم الإسلامية، وربما لذلك أيضًا كان من علامات النفاق إطلاق اسم (يثرب) على (المدينة)؛ حيث يحمل إطلاق هذا الاسم القديم رغبة في العودة إلى العقائد والقيم والنظم القديمة التي محاها تأسيس(المدينة) النبوية.

ومن هنا يختلف المجتمع الأوروبي (المتحضر) عن المجتمع الإسلامي في شتى المجالات حتى المادية منها؛ حيث تسيطر أدوات الحضارة (الأشياء) على الأول، يدور حولها ويعمل من أجلها؛ لأنها غايته، بينما يوظف المجتمع الإسلامي هذه الأدوات لخدمة عقيدته ومبادئه ومنهجه.

خامسا: صاحب نشوءَ المفهوم الأوروبي أو سبقه انفكاكُ المدينة الأوروبية من هيمنة الكنيسة، حيث كانت الكنيسة مركز المدينة الأوروبية والمسيطرة عليها أو بالأحرى: انفكاك المجتمع الأوروبي من الدين، وعلى ذلك قامت حضارة أوروبا المعاصرة، ونتج عن ذلك أمران مهمان:

أما الأمر الأول: فهو بروز مفهوم (الحضارة) أو (المدنية) على أنه عكس مفهوم (الدينية)، ومن هذا التصور ظهرت عبارات: الدولة المدنية، والقانون المدني، والثقافة المدنية، في مقابل: الدولة الدينية، والقانون الديني، والثقافة الدينية، وهكذا انتقلت (اللادينية) إلى مجتمعاتنا عبر (المدنية) رغم التباين الكبير بين دين النصرانية ودين الإسلام.

والأمر الثاني: نشوء القومية الحديثة على أطلال الانتماء الديني أو المذهبي، ومن ثم ربطت الحضارة بالأرض أو القومية؛ ولهذا السبب لا نجدهم يطلقون اسم (الحضارة المسيحية) على حضارتهم رغم اشتراكهم في الانتساب إلى (المسيحية)، إضافة إلى سبب آخر هو أن انكماش المساحة التي يتحرك فيها دينهم –وأي دين خلاف الإسلام– جعلهم لا يتركون للدين إلا ركنًا ضيقًا، هو كونه أحد مكونات الشق المعنوي في (الحضارة) أو (المدنية)، وهذا بخلاف الإسلام الذي تتأبى طبيعته على الانكماش أو الانزواء؛ فهو أوسع من أن تحتويه دائرة في (الحضارة) أو حتى كل الحضارة؛ لأنه يشمل الحياة كلها، ولذا خرجت منه الحضارة وانتسبت إليه وليس العكس؛ وهذه خصيصة إسلامية فريدة.

أقسام المدنية.

سبقت الإشارة إلى أن الحضارة عموما تقوم على ركنين: الركن الأول هو المعنوي الذي يتمثل في الثقافة، والركن الثاني هو المادي المتمثل في المدنية، وهذه الأخيرة تنقسم إلى قسمين:

الأول: المدنية العامة؛ وهي التي لا تتميز بثقافة خاصة أي تشترك فيه الحضارات ولا تتميز به، كالآلات.

الثاني: المدنية الخاصة؛ وهي التي تتميز بثقافة خاصة، كلباس المرأة.

تنبيه مهم: مع ذكر هذا القسيم النظري للمدنية إلا أنه في الواقع لا يوجد انفصال مطلق بين المدنية العامة والمدنية الخاصة ما دام أنهما متعلقان بالثقافة عامة كانت أو خاصة، فلا بد أن يكون للعقيدة والعادات والأخلاق تأثير على المدنية بنوعيها لا محالة.

وفي الحضارة الإسلامية؛ الدين مرتبط بالجانب المعنوي الثقافي وبالجانب المادي المدني، إذ الدين أعم من الحضارة، والحضارة جزء من الدين.

مهد الحضارات العالمية وبدايتها ومنشؤها.

القول في هذا المجال قول بالظن؛ إلا أن المسلمين الذين عندهم المرجع المعصوم، وهو القرآن الكريم الذي هو أحد مصادر الحضارة الإسلامية كما سيأتي، والذي قال الله تعالى عنه:{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }[الحجر:9]. يجدون فيه إشارات إلى بدئها مع آدم عليه السلام وأن مكة المكرمة هي مهد الحضارات، وهناك كثير من الأحاديث في السنة النبوية تحتمل هذا.

قال الله تعالى:{ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ }[آل عمران: 96].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الناس بنو آدم، وخلق اللهُ آدمَ من تراب)).[2]

ومن خلال هذه الآية والحديث يمكن أن نستنبط أنّ مهد الحضارة وبدايتها كان مع قصة آدم عليه السلام. وفي مكة المكرمة التي وضع فيها أول بيت لعبادة الله وحده لا شريك له.

عدد الحضارات.

هذا محل اجتهاد، والقول فيه بالظن لا باليقين، كقول (توينبي) بأنها إحدى وعشرون حضارة. وعندنا نحن المسلمين حديث يحدد عدد الأمم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنكم تُتِمُّون سبعين أمةً أنتم خيرُها وأكرمُها على الله)).[3] فباعتبار عدد الحضارات بعدد الأمم؛ يكون عدد الحضارات سبعين حضارة.

([2]) رواه الترمذي: 3270، 3956 . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وهو حديث حسن.

([3]) رواه الترمذي: 3001، وابن ماجه: 4288، وسنده حسن.

مسار الحضارات.

هناك ثلاث نظريات: (الأولى) نظرية التدهور والانحطاط؛ أي: أنها كانت مزدهرة، ثم نزلت وتراجعت. (الثانية) نظرية الحلقة المغلقة؛ أي: أن الحضارة مستقلة عن غيرها لها كيانها الخاص بها. تولد، ثم تنمو، ثم تزدهر، ثم تتدهور إلى أن تسقط، مثلها مثل حياة الإنسان، والفصول الأربعة: الربيع، فالصيف، فالخريف، فالشتاء. (الثالثة) نظرية التطور المستمر؛ وهي واضحة، وهي مبنية على نظرية التطور والارتقاء.

ومسار الحضارة الإسلامية لا تنطبق عليه هذه النظريات؛ وذلك أن الحضارة الإسلامية لها من الخصائص والمميزات ما جعلها تتميز بمسارها، وخلاصته: أنها قد تتدهور أحيانا وتتطور أحيانا وتستقل في جوانب ولكن ليس على وجه الإطلاق في كل ذلك. فتدهورها لا ينتهي إلى الزوال فهي خالدة لأنها حضارة خاتم النبيين، والقرآن المحفوظ من رب العالمين، والأمة الوسط الخيار خير أمة أخرجت للناس.

تعريف الحضارة الإسلامية.

بعد تعريف الحضارة في اللغة، وتعريفها في الاصطلاح العام وبعد ذكر صعوبة تحديد مفهومها واختلاف الآراء والأسباب التي كانت وراء ذلك ... أختم ببيان مفهوم الحضارة الإسلامية والتي هي بدورها تعرَّض مفهومها للاختلاف بحسب نظرة المعرف لها، وذلك بين مركزٍ على العقيدة الإسلامية والأخلاق الشرعية، وبين آخر مركزٍ على العلم والمعرفة والعقل والتفكير، وبين آخر مركزٍ على العمران والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ... ولا شك أن المسلك الوسط الخيار هو الجمع بين هذه العناصر كلها في تعريف الحضارة الإسلامية ما دامت تدخل في مكوناتها.

تنبيه منهجي مهم:

مما لا ينبغي إهماله في تعريف الحضارة الإسلامية هو الصبغة الدينية؛ لأن الدين هو أصل الحضارة وأساسها وهو الباعث على إنجازاتها والمرشد لسيرها والهادي لوجهتها والمصدر لعزها وتمكينها.

يقول عماد الدين خليل عن منهج التعامل مع مصطلحات الحضارة الإسلامية (الحضارة)، (المدنية)، (الثقافة) [4]:

هناك مسألة أخرى يتحتم التأشير عليها ... تلك هي ضرورة ألا ننساق وراء التقسيم التقليدي المعروف الذي يتردد خلال الحديث عن "الحضارة" و"الثقافة" و"المدنية".

ذلك هو أن "الحضارة" – أياً كانت – تتضمن "المدنية" التي تُعنى بالجوانب المادية: الاقتصادية والتطبيقية والعمرانية والتنظيمية، و"الثقافية" التي تُعنى بالجوانب المعرفية والأخلاقية والروحية والجمالية. وأن مكان العقائد والأديان إنما يحتل مساحة ما من الجانب الثقافي للحضارة.

والحق أن الدين، أو العقيدة، في المنظور الإسلامي، إنما هي أوسع بكثير من أن تقتصر على جانب ما من دائرة الثقافة، بل هي أوسع حتى من دائرة الحضارة على امتدادها.

إنها رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان ... برنامج عمل ومنهاج حركة، يهيمن على سائر المعطيات الحضارية: مدنية وثقافية، ولا ينضوي تحت أية جزئية منها، مهما كانت فاعلية هذه الجزئية وغنى معطياتها.

إن هذه الرؤية العقيدية ذات الطابع الشمولي هي التي يتحتم أن تحتوي الحضارة، وتصبغها، وتمنحها خصائصها، وترسم سبل صيرورتها ونموها...وليس العكس بحال من الأحوال.

إن التقاليد المعرفية الوضعية، من جهة، وانكماش المساحة التي تحركت عليها النصرانية أو البوذية أو غيرهما من الأديان والعقائد والفلسفات، وعدم قدرتها على تغطية مطالب الحياة كافة، والاستجابة لنداءات القوانين والسنن التاريخية، من جهة أخرى، هي التي كادت أن تفرض هذا التقسيم الخاطئ الذي يحجّم دور العقيدة أو الدين، ويجعله أسير مساحة أو حيز من دائرة أكثر اتساعا هي دائرة الثقافة.

([4]) مدخل إلى الحضارة الإسلامية: عماد الدين خليل. ص/11-12.

ثم يقول:

لكننا كمسلمين لسنا ملزمين باعتبارات كهذه، بتقسيمات هي وليدة تجربة غير تجربتنا، وتاريخ غير تاريخنا، ودين غير ديننا، على وجه اليقين. فلقد جاء الإسلام لكي ينظم سائر شؤون الحياة المدنية والثقافية، ويصوغها ويهيمن عليها، ويمنحها الطابع والصبغة ... جاء الإسلام لكي يشكل حضارته الخاصة به، والتي تستمد مقوماتها من نسيجه وتوجهاته وخصائصه.

وما دام الإسلام يمد يده لكي يصوغ سائر مناحي الحياة المادية والروحية، المدنية والثقافية، فإنه ليس من قبيل التعسف القول بأن حضارة الإسلام إنما هي وليدة هذا الدين، وأنها إنما تنمو في رحمه وتكسب مادتها وصورتها، جسدها وروحها من نسغه الصاعد ودمه المتفجر بالحياة. وليس من قبيل التعسف رفض المقولة الخاطئة الشائعة التي تريد أن تجعل الإسلام ومعطياته تحتل جانبا ما، مساحة فحسب، من نسيج عام لحضارة يتصورون خطأ أنها تمخضت بالضرورة عن نشاط بشري وضعي صِرف.

إنه يستحيل منطقيا أن نجعل الإسلام يمثل جانبا محسورا من مساحة واسعة تمتد إليها حضارة هي وليدة الإسلام نفسه. وإننا سنقع في هذا اللبس بالتأكيد لو أننا سمحنا لأنفسنا بأن ننساق وراء التقسيمات التقليدية للتركيب الحضاري، وهي – على كثرة تكرارها – أصبحت تملك ثقلاً فرض على بعض الإسلاميين أنفسهم الخضوع لمقولاته.

وفي السياق نفسه يتحتم أن نكون حذرين إزاء الانسياق وراء التقسيمات التقليدية لأجدادنا أنفسهم، وهم يتحدثون عن علوم "نقلية"وأخرى "عقلية" وكأن هناك جداراً فاصلاً بين العلمين.

ويتساءل المرء: ألم يدخل الإسلام لكي يصوغ العلوم العقلية ويتوغل في جزئياتها ومسالكها برؤيته المتميزة وتحليله الخاص؟ ويتساءل – كذلك – ألم تكن العلوم النقلية نفسها عقلية بمعنى من المعاني، أي بكونها استجابة ناجحة متفردة لمطالب العقل البشري؟

إننا بحاجة إلى التريث قليلاً ونحن نتعامل مع التقسيمات والمصطلحات، وإنه ليتحتم علينا أن نرفض الكثير منها، إذا اقتضى الأمر، لكي ننحت ونصوغ مفرداتنا المنسجمة ورؤيتنا العقيدية وصبغتنا الإلهية: { صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً }[البقرة:138].

نماذج من تعريفات الحضارة الإسلامية.

الأول: الحضارة الإسلامية هي الإسهامات المدنية التي أنجزتها المدن والحواضر الإسلامية والعربية.[5] ويرى أن الحضارة والثقافة تستخدمان بمعنى واحد سواء في الشرق أو الغرب.

الثاني: الحضارة الإسلامية هي التي قامت على أساس رسالة سماوية هي الإسلام، تعاليمها الكبرى من القرآن الكريم، ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأعماله.

الثالث: الحضارة الإسلامية هي حصيلة تاريخ المسلمين على أرضهم، وفي أوطانهم المتصلة في النطاق الأوسط من الأرض وبين المناطق الباردة التي تقطنها كثرة من المسيحيين وغيرهم، وبين المناطق الاستوائية التي يقطن أغلبها كثرة من أصحاب الديانات الأخرى والوثنية.

الرابع: الحضارة الإسلامية هي كيان إنساني عام، ذو شخصية اعتبارية معنوية، فيها جانب التراث المجيد إلى جانب الحياة القائمة الدائمة التطلع إلى السمو، إلى جانب الأمل الممتد المشحون بالحوافز الإيجابية البناءة بمستقبل دائم الارتقاء نحو الأفضل، لا لخير القوم الذين يتحقق على أيديهم؛ بل لخير الأسرة البشرية جمعاء، ولوضعها في مقام الجدارة الفعالة بالخلافة في الأرض.

الخامس: الحضارة الإسلامية هي الكيان الإنساني العام، الذي أقامته الأمة الإسلامية وما تزال، على هدي دينها في منطلقات وجودها وإشعاعها.

السادس: الحضارة الإسلامية هي تقدم المجتمع وتفوقه من الناحية المادية والمعنوية في جميع مناحي الحياة الإنسانية، بروح خيرة، ونحو غاية خيرة في ضوء القيم الإسلامية.

السابع: تقدم المجتمع وتفوقه من الناحية المادية، والمعنوية، والتنظيمية في جميع مناحي الحياة الإنسانية؛ لإعمار الأرض وفق حاجات الأمة في ضوء المنهج الإلهي.

([5]) دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية. حسان حلاق.ط/2. 1419هـ-1999م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. ص/6.

وإذا لاحظنا هذه التعاريف وجدناها ترتكز على العناصر الآتية:

الإسلام- تاريخ المسلمين- الوطن الإسلامي- التراث- الخلافة- الإيمان بالله- العقيدة الإسلامية- المناهج والقوانين الربانية- مصادر الحضارة الإسلامية القرآن الكريم والسنة النبوية- أهداف الحضارة الإسلامية للمسلمين خاصة ولغيرهم عامة.

ولهذا يكون التعريف الأخير من أحسن التعاريف؛ لتضمنه معظم هذه العناصر.[6]

محاولة متميزة لتعريف الحضارة الإسلامية.

هذه المحاولة لـ: نصر محمد عارف، صاحب بحث: الحضارة الثقافة المدنية. دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم. ط/2. 1415هـ/1994م. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. الولايات المتحدة الأمريكية.[7]

وانتهت المحاولة إلى أن الحضارة الإسلامية هي الحضور والشهادة بجميع معانيها التي وردت في القرآن الكريم.

ص/16. قال: بالنظر إلى الدراسات التي تمت حول هذا المفهوم، يلاحظ أنها اعتمدت على أحد مصادر ثلاثة لتحديد دلالته وما صدقاته، ولم يرجع أيٌّ من هذه الدراسات بصورة منهجية إلى الأصول اللغوية في المعاجم العربية لتحديد دلالة المفهوم وإنما وقفت كل منها عند أحد هذه المصادر الثلاثة أو حاولت الدمج والتوفيق بينها أو بين اثنين منها، وهذه المصادر هي:

1/ مفهوم الحضارة كما قدمه عبد الرحمن بن خلدون في ((مقدمته)) على اعتبار أنه هو أول من أعطى هذا المفهوم دلالات متكاملة، حيث جعل الحضارة مقابل البداوة، بما يعنيه ذلك من أنماط حياتية وسلوكية واقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية.

2/ مفهوم (culture) في اللغات الأجنبية.

([6]) أصول التربية الحضارية في الإسلام. هاشم بن علي بن أحمد الأهدل.ط/1. 1428هـ-2007م. سلسلة الرسائل الجامعية؛75. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ص/20-21.

([7]) وانظر إلى محاولة أخرى جادة في: مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم. عمار توفيق أحمد بدوي. قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين. 2005.

3/ مفهوم (civilization) في اللغات الأجنبية.

ص/19. قال: ومن هنا فقد تأرجحت دلالة المفهوم طبقا للمصدر المعرفي الذي استقى الباحث منه، وتوزعت الدلالات وطُمس أغلبها، وحدث نوع من التشويه أدى إلى إخراج المفهوم عن دلالته الأصلية وتلبيسه بدلالات أخرى لا يستوعبها جذره اللغوي، ولا تتسق مع أصوله ومصادره، وفي نفس الوقت طمست دلالته الحقيقية المرتبطة بأصله ومصدره، وقد أحدث هذا تفتيتا شديدا للمفهوم بحيث لا تكاد تجد له معنى محددا أو تعريفا واحدا لدى أي من الذين تناولوه... وفي سبيل تأصيل المفهوم والرجوع به إلى أصله ومصدره ودلالته في لغتنا العربية التي تختلف كثيرا عما جرى عليه الاستعمال المعاصر لهذا المفهوم؛ سيتم تناول هذا المفهوم عبر الخطوات التالية: ...

ص/57. قال: وانطلاقا من الجذر اللغوي ((حضر)) بمعنى شهد من الحضور الذي هو ضد المغيب، نبحث عن الدلالات القرآنية لهذا المفهوم...

ص/57- قال: وللشهادة في القرآن الكريم دلالات أربع متكاملة فيما بينها تتحد لتؤدي معنى الحضارة أو الشهادة في الفهم الإسلامي هذه المعاني أو الدلالات لا يمكن تجزئتها وإلا فقدت مضمونها ومعناها فأي واحدة من هذه المعاني الأربعة تمثل جزءا من بناء مفهوم الحضارة، ومن ثم لا يمكن القول إن أيا منها يعبر عن مفهوم الحضارة، بل لا بد من توافرها جميعا في منظومة أو نسق واحد حتى تعطي المفهوم كامل معانيه، وهذه الدلالات هي:

1/ الشهادة بمعنى التوحيد والإقرار بالعبودية والاعتراف بتفرده سبحانه بالألوهية والربوبية وهي محور العقيدة الإسلامية وعليها يتحدد التزام الإنسان بمنهج الله أو الخروج عنه.

2/ الشهادة بمعنى قول الحق وسلوك طريق العدل، أو الإظهار والتبيين، أو الإخبار المقرون بالعلم، أو الملاحظة والمراقبة. تعد مدخلا من مداخل العلم ووسيلة من وسائل تحصيل المعرفة.

3/ الشهادة بمعنى التضحية والفداء وتقديم النفس في سبيل الله حفاظا على العقيدة ودفاعا عن تحرير الإنسان من عبادة العباد وإخراجه إلى عبادة الله وحده.

4/ الشهادة كوظيفة لهذه الأمة {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}[البقرة: 143]. وينصرف معناها إلى الشهادة في الدنيا والآخرة حيث إن "واجب الشهادة لا تقوم به إلا الأمة الوسط الخيرة المتميزة بشخصيتها الإسلامية المستقلة الممتنعة عن الذوبان في غيرها أو فقدان شيء من معالم شخصيتها، لتكون مثلا يحتذى ونموذجا به يقتدى، وأسوة للأمم تتأسى بها وتترسم خطاها. وقد أدرك الصدر الأول من هذه الأمة أن الشهادة على الناس تعني أن تكون هذه الأمة قوية عالمية متحررة تقوم على العدل وتعمل به، وتحمي حق الآخرين في الاختيار وحرية إرادتهم في إقامة مجتمع جديد يقوم على التحرر من عبادة العباد والتخلص منها إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة".

ص/59. قال: وطبقا لهذه المعاني الأربعة، فإن الحضارة هي الحضور والشهادة بجميع معانيها التي ينتج عنها نموذج إنساني يستبطن قيم التوحيد ...

ثم بين أن ما سبق هو مفهوم الحضارة في الأصول الإسلامية أو بالأحرى في القرآن الكريم... الحضور والشهادة...حضور الإسلام في الكون ...وغير الحضارة الإسلامية قد يكون لها حضور قد يكون قريبا أو بعيدا عن حضور الإسلام ...فيكون مفهوم الحضارة بمعناها العام: هو مطلق الحضور ...

وبيَّن الفرق بين الحضور والوجود ...فمجرد قيام العمران فقط في المجتمع لا يعني أكثر من الوجود، مثل أنموذج الصين والمايا والأنكا والزولو...ذلك أن الحضور يستلزم فوق العمران تقديم نموذج للإنسانية للاقتداء به...

ص/61. ثم ذكر ما ينبغي أن يتحقق لإطلاق لفظ الحضارة:

أ/ وجود نسق عقدي يحدد طبيعة العلاقة مع عالم الغيب ومفهوم الإله سلبا أو إيجابا.

ب/ وجود بناء فكري سلوكي في المجتمع يشكل نمط القيم السائدة والأخلاقيات العامة والأعراف.

ج/ وجود نمط مادي يشمل المبتكرات والآلات والمؤسسات والنظم والعمارة والفنون وجميع الأبعاد المادية في الحياة.

د/ تحديد نمط العلاقة مع الكون ومسخراته وعالم أشيائه وقواعد التعامل مع هذه المسخرات وقيمها.

هـ/ تحديد نمط العلاقة مع الآخر، أي المجتمعات الإنسانية الأخرى وأسس التعامل معها وقواعده، وأسلوب إقناعها بهذا النموذج والهدف من ذلك الإقناع.

ثم ذكر إذا ما أردنا وصف الحضارة الغربية أو معرفة كنهها لا بد من دراسة موقفها من هذه الأبعاد ومن معرفة نموذجها الإنساني الذي تقدمه للبشر، هل يصلح الاقتداء به أم لا؟ ويمكن تطبيق الأمر نفسه مع أي تجربة بشرية أخرى...

وخلاصة هذه المحاولة هي تعريف الحضارة الإسلامية بردها إلى المفهوم الأصلي للمادة اللغوية، ثم تتبع دلالات هذا المفهوم الأصلي في القرآن الكريم الذي هو المصدر الأول من مصادر معرفة مفهوم الحضارة عموما والحضارة الإسلامية خصوصا.

أنواع الحضارة الإسلامية.

وللحضارة الإسلامية، ثلاثة أنواع:

1/ حضارة التاريخ (حضارة الدول):

وهي الحضارة التي قدمتها دولة من الدول الإسلامية لرفع شأن الإنسان وخدمته، وعند الحديث عن حضارة الدول ينبغى أن نتحدث عن تاريخ الدولة التي قدمت هذه الحضارة، وعن ميادين حضارتها، مثل: الزراعة، والصناعة، والتعليم، وعلاقة هذه الدولة الإسلامية بغيرها من الدول، وما قدمته من إنجازات في هذا الميدان.

2/ الحضارة الإسلامية الأصيلة:

وهي الحضارة التي جاء بها الإسلام لخدمة البشرية كلها، وتشمل ما جاء به الإسلام من تعاليم في مجال: العقيدة، والسياسة، والاقتصاد، والقضاء، والتربية، وغير ذلك من أمور الحياة التي تسعد الإنسان وتيسر أموره.

3/ الحضارة المقتبسة:

وتسمى حضارة البعث والإحياء، وهذه الحضارة كانت خدمة من المسلمين للبشرية كلها، فقد كانت هناك حضارات وعلوم ماتت، فأحياها المسلمون وطوروها، وصبغوها بالجانب الأخلاقي الذي استمدوه من الإسلام، وقد جعل هذا الأمر كُتاب العالم الغربي يقولون: إن الحضارة الإسلامية مقتبسة من الحضارات القديمة، وهما حضارتا اليونان والرومان، وأن العقلية العربية قدْ بدَّلت الصورة الظاهرة لكل هذه الحضارات وركبتها في أسلوب جديد، مما جعلها تظهر بصورة مستقلة.

وهذه فكرة خاطئة لا أساس لها من الصحة، فالحضارة الإسلامية في ذاتها وجوهرها إسلامية خالصة، وهي تختلف عن غيرها من الحضارات اختلافًا كبيرًا، إنها حضارة قائمة بذاتها، لأنها تنبعث من العقيدة الإسلامية، وتستهدف تحقيق الغاية الإسلامية، ألا وهي إعمار الكون بشريعة الله لنيل رضاه، لا مجرد تحقيق التقدم المادي، ولو كان ذلك على حساب الإنسان والدين كما هو الحال في حضارات أخرى، مع الحرص على التقدم المادي؛ لما فيه من مصلحة الأفراد والمجتمع الإنساني كله.

أما ما استفادته من الحضارات الأخرى فقد كان ميزة تحسب لها لا عليها، إذ تعني تفتح العقل المسلم واستعداده لتقبُّل ما لدى الآخرين، ولكن وضعه فيما يتناسب والنظام الإسلامي الخاص بشكل متكامل، ولا ينقص من الحضارة الإسلامية استفادتها من الحضارات السابقة، فالتقدم والتطور يبدأ بآخر ما وصل إليه الآخرون، ثم تضيف الحضارة الجديدة لتكمل ما بدأته الحضارات الأخرى.[8]

معنى نسبة الحضارة إلى الإسلام وإلى العربية.

عندما يقال (الحضارة الإسلامية) فلا بد من التوقف عند هذه النسبة إلى الإسلام وندقق فيها حتى نعرف المراد منها، ويمكن تلخيص المراد منها فيما يلي:

- أولا: الحضارة الإسلامية: الحضارة التي وجدت في فترة تاريخ الإسلام أي ظهور الإسلام.
- ثانيا: الحضارة الإسلامية: الحضارة التي بناها المسلمون غالبا.

([8]) محتوى الحضارة الإسلامية. محمد أحمد جودة. جامعة الملك فيصل. التعليم عن بعد.ibtihalino.blogspot.com.

- ثالثا: الحضارة الإسلامية: الحضارة من دين الإسلام. وهذا فيه تفصيل: إذا كان ما في الحضارة يوافق الشرع فالنسبة صحيحة، وإذا كان ما في الحضارة يخالف الشرع فالنسبة غير صحيحة.

مثال: العمارة الإسلامية. وإدخال زخرفة المساجد فيها فهذا غير صحيح لأن الشرع الإسلامي يمنع من زخرفة المساجد ...

هل نقول: (حضارة عربية) أو (حضارة إسلامية) أو حضارة (عربية إسلامية)؟

الجواب يرجع إلى الاعتبار في الإطلاق، فإذا قلنا: (حضارة عربية) باعتبار أنها نشأت أول ما نشأت بين ظهراني العرب وإن اتسعت دائرتها بعد ذلك لتضم أبناء شعوب أخرى غير عربية. أو باعتبار لغتها التي هي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية والعلوم الإسلامية ...

وإذا قلنا: (حضارة إسلامية) باعتبار أن دينها الذي تدين به هو الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا ... وإن ضمت أديانا أخرى لأهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس الذي عاشوا تحت ظلها وأسهموا في بنائها في الجانب المدنية العامة وعلوم الحياة ...

وإذا قلنا: (حضارة عربية إسلامية) فإننا نجمع الاعتبارات السابقة كلها من غير استثناء ويكون هذا الإطلاق جامعا مقدما على الإطلاقين السابقين.

والأمر في الاستعمال واسع، بشرط ألا يكون هناك قصد سيء كالقومية العربية، أو الشعوبية الأعجمية.

ولهذا يرى حسان حلاق أن تسمية ((حضارة إسلامية)) و((حضارة عربية))، لا تناقض بينهما فهما توأم حضاري لا ينفصل. فالمسلمون من العرب وغير العرب، كما أن العرب من المسلمين ومن غير المسلمين كلهم أسهموا في تكوين وتفعيل هذه الحضارة.[9]

([9]) انظر: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية. حسان حلاق.ط/2. 1419هـ-1999م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. (ص/6). وانظر أيضا: مقرر الحضارة العربية الإسلامية. عمار محمد النهار. الجامعة السورية الافتراضية. كلية الاقتصاد. (ص/17).

المحاضرة الثانية ((02)):

مناهج دراسة الحضارة الإسلامية،
والمنهج المقترح لدراسة وتدريس هذه المادة

يرتكز الدرس على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

- أهداف المحاضرة الثانية.
- أهم مراجع المحاضرة الثانية.
- معالم مناهج دراسة الحضارة الإسلامية (13 معلما).
- المنهج المقترح لدراسة وتدريس مادة الحضارة الإسلامية. (20 معلما).

أهداف المحاضرة الثانية:

1/ محاولة استقرائية لمناهج الدارسين والمدرسين لمادة الحضارة الإسلامية.

2/ إشارات إلى أهم مواضع الانتقاد لهذه المناهج.

3/ ذكر منهج مقترح لدراسة وتدريس مادة الحضارة الإسلامية؛ حتى تتحقق الأهداف الحقيقية من دراستها وتدريسها.

أهم مراجع المحاضرة الثانية:

1/ الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. حسين مؤنس.ط/2. 1419هـ/1998م. عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت. ص/16.

2/ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. ص95.

3/ دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية. حسان حلاق.ط/2. 1419هـ-1999م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت.ص/5.

4/ في الفقه الحضاري : حول منهج جديد لدراسة حضارة الإسلام. عماد الدين خليل. كلية التربية-جامعة الموصل.

5/ جوانب من الحضارة الإسلامية. عبد الرحمن علي الحجي. ط/1. 1399هـ-1979م. مكتبة الصحوة. ينبغي تلخيص هذه المقدمة في معالم.

6/ تاريخنا... هل من الضروري إعادة كتابته ؟ قاسم عبده قاسم. مجلة العربي الكويتية، عدد ربيع الأول سنة 1427هـ.

7/ دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل.ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق.

8/ نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي. عبد الرحمن علي الحجي. ط/3. 1399هـ-1979م. مكتبة الصحوة.

9/ سير أعلام النبلاء. الذهبي [748هـ]. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط. ط/3. 1405هـ-1985م. الناشر : مؤسسة الرسالة. بيروت.

10/ البداية والنهاية. ابن كثير [774هـ]. تحقيق: علي شيري. ط/1. 1408هـ-1988م. الناشر: دار إحياء التراث العربي.

11/ تهذيب التهذيب. ابن حجر العسقلاني[852هـ]. ط/1. 1326هـ. مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند.

12/ المقدمة. ضمن تاريخ ابن خلدون[808هـ]. تحقيق:خليل شحادة ط2. 1408هـ-1988م. الناشر: دار الفكر، بيروت.

13/ حقيقة الحضارة الإسلامية. لفضيلة الشيخ ناصر بن حمد الفهد.

رابطها: https://www.goodreads.com/ar/book/show/19180129

14/ مقومات الحضارة وعوامل أفولها من منظور القرآن الكريم. عمار توفيق أحمد بدوي. قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين. 2005.

تمهيد:

أهمية منهج البحث العلمي والدراسي لا تخفى على كل من له صلة بالبحث والدراسة فالمنهج هو الطريقة الصحيحة لتناول المسائل العلمية للوصول إلى إضافة مرجوة. ولكن لا بد من شرط آخر بالإضافة إلى المنهج وهو التناسب بين المنهج ونوع البحث والدراسة، ولهذا قد تؤتى البحوث والدراسات العلمية من هذه الجهة فلا تنال نصيبها من التوفيق.

إن دراسة الحضارة الإسلامية والبحث فيها بحر خضم خاضه المسلمون وغير المسلمين على اختلاف تخصصاتهم ومقاصدهم، والإتيان على تشخيص مناهجهم في الدراسات الأكاديمية والمؤلفات والموسوعات والبحوث والمقالات...لا يتسع له هذا المقام الذي قصدت من التنبيه فقط إلى هذا الأمر الخطير في دراسة الحضارة الإسلامية وسأكتفي بإشارات لعلها تفتح باب الرغبة للباحثين والدارسين للتوسع.

معالم مناهج دراسة الحضارة الإسلامية.

أولا: من تناول الحضارة عموما بصفة عالمية ولم يجعل تركيزه على الحضارة الإسلامية فقط بحيث أعطى فكرة عامة عن تعريف الحضارة وتاريخ الحضارات ونشأتها وسقوطها وزوالها وما بقي منها وإنجازات هذه الحضارات ...

ثانيا: من تناول حضارة بعينها كالحضارة الإسلامية، أو الحضارة الأوربية ولم يخرج عن هذا الإطار الخاص. فمنهم من أخذ بالتوسع في دراسة هذه الحضارة بعينها في جوانب متعددة منها، ومنهم من أخذ بالضيق في دراسة هذه الحضارة بعينها في جانب محدد كخصائص الحضارة الإسلامية.

ثالثا: من تناول دراسة الحضارة بالمنهج المقارن بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية مثلا فتراه يبين أوجه الاتفاق والاختلاف بينها في جانب خاص كنظرة الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية إلى العلم. أو في جوانب متعددة كالجوانب العلمية والتاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية...

رابعا: من تناول الحضارة عموما أو الحضارة الإسلامية خصوصا بطريقة السرد التاريخي يراعي فيه مراحل الحضارة وتطورها ...وهذا كثير في حق من بحث في الحضارة الإسلامية ومن الجوانب التي يراعونها في هذا السرد التاريخي الناحية الدينية والعلمية والسياسية والاجتماعية والأدبية والعمرانية... وهذا راجع إلى ارتباط الحضارة بالتاريخ الذي هو مسارها الذي تسير فيه، وأحد عناصرها الرئيسة المكونة لها ... ولكن قلَّ أن تجد من يركز على التحليل والاستنباط والمقارنة... للوقوف على أسباب التقدم وعلى أسباب التأخر وعلى الآثار الدينية والنفسية والتربوية... على جماعة المسلمين وأفرادهم وما هو المنهج الصحيح من الخاطئ في دراسة الحضارة الإسلامية وما هي الطرق والوسائل لنهضة جديدة بالحضارة الإسلامية؟ وكيف نواجه العولمة العالمية والهيمنة الغربية وغيرها .... من التحديات؟

خامسا: من تناول دراسة الحضارة الإسلامية بعيدة عن الإسلام ومعناه وصبغته وهي تلكم الدراسات المتأثرة بالنظريات الفكرية المادية التي تنظر إلى الحضارة الإسلامية من الجانب المدني دون الجانب الثقافي هذا إن سلم هؤلاء من المقاصد السيئة والنوايا الخبيثة.

ومن هؤلاء طائفة من المستشرقين ومن تبعهم من الباحثين المسلمين.

وفي هذا المنهج ظلم للحضارة الإسلامية وهضم لركنها الأصلي وهو الركن المعنوي الذي يتعلق بالدين والعلم والعادات والتقاليد والأخلاق والآداب واللغة والأدب.

وانعكس هذا أيضا على أعلام الأمة وعلمائها وأئمتها وفقهائها وعبادها بل على صحابة نبيه بل والله على نبيها صلى الله عليه وسلم وذلك عندما صار عالم الطب والصيدلة والكيمياء والفلك والفلسفة والرياضيات... أشهر في تأثيره على بناء الحضارة الإسلامية ومنجزاتها وازدهارها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم الذين هم مؤسسو قواعد الحضارة الإسلامية على تقوى من الله تعالى، وبناة صرحها بالمدينة النبوية حيث كان الميلاد الأول لهذه الحضارة المحمدية.

لقد أخرج الإسلام العرب من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم فصنع منهم الإسلام رجالا يزن الواحد منهم بأمة فانطلقوا في أرض الله تعالى يحملون راية الإسلام ففتحوا به القلوب قبل البلدان وكأن الأرض وأهلها كانوا على موعد معهم ينتظرون مجيئهم بشوق ليخرجوهم من عبادة العباد إلى عبادة الخالق رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

سادسا: من تناول دراسة الحضارة الإسلامية بالمفاهيم الغربية فتراه يفسر المظاهر الحضارية الإسلامية بما هو مقرر في المؤلفات التي كتبها الغرب عن الإسلام كمؤلفات المستشرقين في العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم والسنة النبوية والفقه الإسلامي والتاريخ والسيرة والأدب واللغة العربية ... فكما لا يصح أن ندرس العلوم الغربية لغرض من الأغراض الشرعية إلا بالرجوع إلى المصادر الأصلية للقوم حتى ندرك المعنى الذي يفهمونه والذي هو مستقر في قلوبهم ... فكذلك لا يصح أن ندرس الحضارة الإسلامية إلا بالرجوع إلى مصادرها التي سبق وأن بيناها مع الرجوع إلى شروحها وتفاسيرها التي ألفها العلماء المسلمون لنصل إلى الحقيقة كما هي عند أصحابها. فهل يعقل أن ندرس الحضارة الإسلامية بتنوع مجالاتها ومصادرها وعلومها بقواعد وأصول وفهوم حضارة أخرى؟

سابعا: من تناول دراسة الحضارة الإسلامية بالمنهج التبريري الذي منطلقه وضع الحضارة الإسلامية في قفص الاتهام، وهي في أصلها بريئة من تلك التهم. فترى هذا الفريق يبدئ ويعيد في سلسلة من التبريرات التي يحاول من خلالها أن يدافع عن الحضارة الإسلامية موهما القارئين بأن الحضارة الإسلامية ضعيفة تحتاج إلى محام ينافح عنها ويبطل ما يثار ضدها. ومن مظاهر هذا المنهج الإكثار من شهادات مفكري الغرب ورجال الدين والسياسة ممن قالوا كلمة حق في الحضارة الإسلامية والفرح بهذه الشهادات والإشادة بها وكأننا لا نملك من الشهادات التي هي فوق شهادتهم على فضل الحضارة الإسلامية وهي شهادة القرآن الكريم:

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[آل عمران:110] ، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}[البقرة:143]، أي: خيارا.

وهذا لا يعني أن الباحث في الحضارة الإسلامية والدارس لها لا يبطل الشبهات التي يقذف بها الأعداء يريدون بها تشويه الحضارة الإسلامية، وتشويش عقول من يتحضر بها؛ وإنما المقصود ألا يتخذ هذا المنهج هو الأصل في دراسته للحضارة الإسلامية، ولكن إذا عرضت شبهة أو تهمة ضد الحضارة الإسلامية تصدى لها إن كانت تستأهل ذلك. وكما قال الشاعر:

ولو أنَّ كلَّ كلبٍ عَوَى ألقمته حجرا () لكانَ الحجرُ مثقالا بدينارِ

ثامنا: من تناول دراسة الحضارة الإسلامية بمنهج تعظيم صغار أمورها وتصغير كبار أمورها. مثل صنيع الضابط الفرنسي الذي اسمه (جول سيكار) مترجِم أول في الجيش الفرنسي. له كتاب (العالم الإسلامي في الأملاك الفرنسوية). يقول عنه الأمير شكيب أرسلان:

"يتضمن من السموم بحق الإسلام والمسلمين ما ندر أن عثرت به في كتاب آخر مع أني طالعت في هذا الباب ما يفوق الإحصاء.

يمتاز هذا الكتاب عن غيره بأنه يضع هذه السموم في قالب غير خشن وكثيرا ما يريد إنصاف الإسلام في توافه الأمور، ويمتدح من أوضاعه ما ليس في الاعتراف به كبير جدا، حتى إذا وصل البحث إلى المسائل الأساسية أظهر المؤلف كل ما في قلبه من العدوان وذهب في التحامل أبعد المذاهب".[10]

تاسعا: من يتناول دراسة الحضارة الإسلامية وهم المستشرقون بمنهجٍ المقصودُ منه؛ هدم الإسلام وتدميره بتشويه حقائقه الحقة ومبادئه الصحيحة، وتشكيك المسلمين في دينهم وقرآنهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ...وانبرى لهذه المهمة القذرة لفيف منهم عبر العصور، وخصصوا لذلك دراسات، وكتبوا مؤلفات، وبنوا جامعات ومعاهد ومدارس، بعدما اطلعوا على علوم الحضارة الإسلامية، وعلى ما اغتصبوه من كتب ومخطوطات من الدول الإسلامية التي احتلوها كالجزائر التي احترقت بنار المحتل الفرنسي لأكثر من مائة وثلاثين عاما وكان من المصائب التي

([10]) الإسلام والحضارات. الأمير شكيب أرسلان. ط/1. 2011م. الدار التقدمية. لبنان. (ص/148).

ابتليت بها الجزائر أن أُخذت مخطوطاتها بطرق ماكرة، سواء من مكتباتها العامة كالمساجد والمدارس، أو من مكتباتها الخاصة بالعلماء والعائلات المعروفة في ذلك الوقت بالعلم.[11]

وإنصافا فهناك باحثون من الغرب درسوا الحضارة الإسلامية بموضوعية، يمكن أن يستفاد منهم خاصة فيما يتعلق بالمعلومات التي لا توجد في مصادرنا الإسلامية، والشهادات التي ينقلونها أو يُدلون بها على فضل الحضارة الإسلامية على الحضارة الغربية... فعلى سبيل المثال:

1/ (زيغريد هونكه) مستشرقة ألمانية ...أنصفت الحضارة الإسلامية في كتابها المشهور(شمس العرب تسطع على الغرب).[12]

2/ (مونتجومري، وات) في كتابه (فضل الإسلام على الحضارة الغربية).[13]

3/ العرب في إسبانيا. (ستانلي لين بول) [لندن 1888]. وقد كان (لين بول) شديد الإعجاب بالعرب، كارها للإسبان المعاصرين، بحيث نسب عظمة إسبانيا إلى العرب، وعلل تدهورها بطردهم منها.[14]

عاشرا: من تناول دراسة الحضارة الإسلامية من غير إشارة إلى بعض ما تضمنته من مخالفات شرعية وانحرافات عقدية، وبدع وشركيات، وخرافات وضلالات ...شوَّهت فطرة الحضارة، وكدَّرت صفاءها، ووصمت عقلها بالجمود والتخلف.

ومما يؤكد على إنكار هذا المنهج هو نسبة تلك السلبيات إلى الإسلام بسبب إدراجها تحت مسمى الحضارة الإسلامية، وهذه النسبة كنا قد فصلنا فيها في موضع سبق.

([11]) انظر: تاريخ الجزائر الثقافي. أبو القاسم سعد الله. ط/1. 1998م. دار الغرب الإسلامي، بيروت.(285/1 فما بعد)،(325/5 فما بعد).

([12]) في كتاب: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية. حسان حلاق.ط/2. 1419هـ-1999م. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت. (ص/33-36). فصول منه تشهد على ذلك.

([13]) عنوان الكتاب في الأصل: تأثير الإسلام في أوروبا خلال العصر الوسيط. الصادر عن مطبعة جامعة ادنبرة بسكوتلندا. عام 1972م. نقله إلى العربية حسين أحمد أمين. ط/1. 1403هـ-1983م. دار الشروق بيروت.

([14]) تُرجم مختصرا إلى العربية. ذكره مترجم الكتاب السابق: حسين أحمد أمين. في مراجع الترجمة. (ص/128).

حادي عشر: وهناك من التزم في دراسة الحضارة الإسلامية بمدة محددة كالقرن الثالث بدافع من الدوافع. كتميز تلك المدة بميزة تطغى عليها تجعلها سمة بارزة فيها كالقرن الثالث الهجري الذي كان عصر بحث وترجمة وتأليف، مما ساعد على ظهور معالم الحضارة العربية فيه في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعلمية...[15]

ثاني عشر: إيراد الأحاديث الضعيفة والموضوعة والباطلة والمنكرة وإضافتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير تثبت ولا رجوع إلى مصادر تخريج الأحاديث وهي متوفرة.

ثالث عشر: من تناول دراسة الحضارة الإسلامية بمنهج سليم حيث اجتنب السلبيات التي أشرنا إلى بعضها فجاءت دراستهم مفيدة للحضارة الإسلامية ولمدرسيها ودارسيها.

وسنَعرض منهجا مقترحا لدراسة وتدريس هذه المادة المهمة بالاستنارة بما أشار إليه كبار علمائنا المعروفون باجتهادهم وتجديدهم. وما سأذكره ما هو إلا محاولة تقبل النقد والرد وحسبي أنني شاركت ولو من بعيد في إثراء هذا الموضوع.

المنهج المقترح لدراسة وتدريس مادة الحضارة الإسلامية.

تمهيد:

حتى نجتنب السَّلبيات التي أشرت إلى جملة منها في مناهج دراسة الحضارة الإسلامية رأيت أكمل هذا بذكر مقترح لدراسة الحضارة الإسلامية لعله ينفع المدرسين والدارسين لهذه المادة، وقد دفعني إلى كتابة هذا المقترح ما كنت أقف عليه من ملاحظات وتوجيهات من طرف علماء وباحثين ومتخصصين حول منهج دراسة الحضارة الإسلامية وتدريسها، فكنت أجمع ذلك حتى ظهر لي أنه يمكن عرضها للاستفادة منها:

أولا: اعتبار القرآن والسنة وما كان عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين أساسا للبناء الحضاري في المجال الديني والأخلاق والعلمي والاجتماعي ...

([15]) معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري. أحمد عبد الباقي.ط/1. 1991م. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت–لبنان.

ثانيا: العدل والإنصاف والأمانة العلمية في دراسة الحضارات، فلا يمنعنا كفرها بالله تعالى وعدم عدلها فينا من الاعتراف بالجوانب الإيجابية التي فيها والاستفادة من العلم النافع الموجود فيها والأخذ بالنظريات الصحيحة التي وصل إليها غير المسلمين. والحكمة ضالة المسلم أين وجدها فهو أحق الناس بها.

ثالثا: ربط الدارسين بالانتماء الحضاري وتقوية شخصيتهم وهويتهم الحضارية من خلال ذكر تاريخ الحضارة الإسلامية المشرق وسيرة نجومها الذين يهتدى بهم ...

رابعا: كشف الشبهات التي يثيرها أعداء الحضارة الإسلامية وهي كثيرة، كظاهرة الرق والعبيد، وحقوق المرأة، والجهاد والسيف والميراث والقصاص ....حتى لا يتسرب الشك والتردد إلى نفوس الضعفاء وقليلي العلم من المسلمين، الذين قد يتأثرون بهذه الشبهات فينعكس ذلك على عقيدتهم وأخلاقهم ومجتمعهم ووطنهم...

خامسا: دفع الدارسين إلى ميدان البحث الحضاري في مجالات شتى: تلخيص كتاب في الحضارة. ترجمة علم من أعلام الحضارة. تاريخ علم من علوم الحضارة. ...

سادسا: بعث معاني التفاؤل والرجاء بعودة الحضارة الإسلامية، وإمكانية نهوضها من جديد، وفقا للنصوص المعصومة التي تبشر بذلك، وعدم غرس اليأس والقنوط بذكر الانبهار المبالغ فيه، والإعجاب المفرط بالحضارة الغربية والصينية واليابانية ...

سابعا: في منهج دراسة الحضارة الإسلامية لا بد من التركيز على التحصن بالعلم الشرعي والعقيدة الصحيحة والمبادي العامة للإسلام ومنهج التفكير الإسلامي حتى لا يتأثر الباحث بسَلبيات علوم الحضارات الأخرى ومعتقداتها وتصورتها ونظرياتها التي يجدها أثناء التوسع في البحث والمقارنة.

ثامنا: الالتزام بمنهج المحدثين في رواية السنة وعدم الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة والباطلة، والانضباط بالضوابط العلمية في إيراد الإسرائيليات.

تاسعا: فقه النظريات الغربية ودراية مذاهبها وعرضها على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة لمعرفة ما فيها من حق وباطل.

عاشرا: الحذر من الغزو المصطلحي الذي يُرَوِّج للنظريات الباطلة والأفكار الهدامة من خلال مصطلحات حضارية ظاهرها حق وباطنها باطل كمصطلح: التطور، والتجديد، والتقدم، والتحرير، والمساواة، وحرية الرأي والتعبير...فلا توضع هذه المصطلحات في سياقاتها إلا بعد التأكد من تأديتها للمعنى الحق الذي لا يلتبس به الباطل ولو بالاحتمال، والأفضل الاستعاضة بكلمات أخرى غير حمَّالة يَتأدَّى بها المقصود، كما قال الله تعالى:{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[البقرة:104]. يوجه الله تعالى المؤمنين إلى حسن اختيار الألفاظ قائلًا لهم: يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا كلمة: {رَاعِنَا}؛ أي: راع أحوالنا؛ لأن اليهود يحرفونها ويخاطبون بها النبي – صلى الله عليه وسلم –، يقصدون بها معنًى فاسدًا وهو الرعونة، فنهى الله عن هذه الكلمة سدًّا لهذا الباب، وأمر عباده أن يقولوا بدلًا عنها: {انْظُرْنَا}؛ أي: انتظرنا نفهم عنك ما تقول، وهي كلمة تؤدي المعنى بلا محذور. وللكافرين بالله عذاب مؤلم موجع.[16]

حادي عشر: التعامل مع دراسات المستشرقين للحضارة الإسلامية بحذر شديد؛ لما عُلم من عدم موضوعية أكثرهم، وبعدِهم عن الأمانة العلمية، وسوءِ مقاصدهم.

ثاني عشر: عدم الاكتفاء بالسرد التاريخي وتعداد الإنجازات والإشادة بأعلام العلوم من غير استخراج الفوائد العملية للنهضة والقيامة من جديد. {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[الأنعام:90].

ثالث عشر: عدم دراسة الحضارة الإسلامية بطريقة مجزأة ممزقة تجعل الطالب لا يعي من حضارته إلا أن المرحلة الفلانية من الحضارة الإسلامية تبدأ ببداية الموسم الدراسي من السنة الأولى، وتنتهي بنهاية الموسم الدراسي من نفس السنة ... وهكذا دواليك.

رابع عشر: الحذر من ذكر المخالفات الشرعية، والانحرافات العقدية، والبدع والضلالات والأساطير والخرافات، ونسبتها إلى إنجازات الحضارة الإسلامية وعلومها، فهذا يلزم منه أن هذه المذكورات من الإسلام، وهي ليست منه في شيء.

([16]) المختصر في التفسير. **جماعة من علماء التفسير. إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية. ط/3، 1436 هـ.** (ص/16).

خامس عشر: هناك علماء كثيرون نبغوا في كثير من العلوم التجريبية كالطب والصيدلة والرياضيات ... وأسهوا في إنجازات الحضارة الإسلامية؛ إلا أنهم غير مسلمين من أهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس وقد سبق شرح هذا في موضعه لما تحدثنا عن إطلاق الحضارة العربية أو الحضارة الإسلامية أو الحضارة العربية الإسلامية. كما يوجد من هؤلاء النبغاء في العلوم التجريبية من وُصف بالانحراف في عقيدته كالإلحاد، وبالفسوق في خلقه كشرب الخمر. وهذا راجع إلى تأثر هؤلاء بالفلسفة اليونانية التي تُرجمت كتبها في العهد العباسي الأول في عهد المأمون ولم يكن عند هؤلاء من علوم القرآن والسنة ما يكفي لتحصينهم من الشبهات، التي أثارتها الفلسفة اليونانية حول الدين الإسلامي، وخاصة ما يتعلق بمسائل الغيب، فزلَّت أقدامهم، وضلت أفهامهم مع ما عندهم من فضل في العلوم التجريبية.

ولهذا نجد من علماء الشرع الذين خاضوا في هذه الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية يرجعون عن ذلك في آخر حياتهم كما جاء التصريح به من أبي حامد الغزالي[ت:505هـ]، والشهرستاني[ت:548هـ]، والفخر الرازي [ت:606هـ].

وقد يُستثنى من هؤلاء الباطنيون كالإسماعلية الذين اتخذوا من هذه العلوم التي نبغوا فيها وسائل للوصول إلى أهدافهم التي تمليها عليهم عقائدهم الباطلة.

سادس عشر: بناء على أن الحضارة الإسلامية هي حضارة عقيدة (عقيدة التوحيد) فلا ينبغي دراستها بمعزل عن هذه الصبغة التي هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، وذلك في كل جانب من جوانبها، ومجال من مجالاتها، وهذا أحد الفروق الجوهرية التي جعلت الحضارة الإسلامية عندما اقتبست من الحضارات التي سبقتها لم تقتبس إلا ما يتوافق مع عقيدتها وما وقع من طائفة من علماء الحضارة الإسلامية من اقتباس ما في الحضارات الأخرى وترجمته مع أنه مخالف لعقيدة الحضارة الإسلامية كانت له أسباب منها ما أشرنا إليه قريبا.

سابع عشر: التزام الأمانة العلمية والتحقيق العلمي، خاصة فيما هو من محاسن الحضارة الإسلامية؛ لأن العاطفة قد تعمي صاحبها عن رؤية الحقيقة. فلا ينبغي تحكيمها؛ لأنه ينافي منهجية البحث العلمي.

مثال: أقدم من يحكى عنه شيء في الكيمياء: خالد بن يزيد بن معاوية[ت:90هـ].[17]

وهذه النسبة إلى خالد بن يزيد فيها نظر رواية ودراية :

فأما الرواية: فإن ابن كثير نسبها إليه بصيغة التمريض فقال: ((ويُنسب إليه شيء من علم الكيمياء)).[18]

فأما الدراية:

فأولا: تقدم عصره في وقت الصحابة والتابعين ، وقبل عصر الترجمة.

وثانيا: أن أبا زرعة وابن حبان والذهبي وابن كثير أثنوا على صلاحه ودينه ووثقوه.[19] ولو كان كيميائياً بمعنى الكيمياء في ذلك العصر –حيث يخالطه السحر– ما استحق هذا الثناء .

وثالثا: تفنيد ابن خلدون لهذا الكلام عقلاً في (مقدمته) حيث قال: ((... وربّما نسبوا بعض المذاهب والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم ومن المعلوم البيّن أنّ خالدا من الجيل العربيّ والبداوة إليه أقرب فهو بعيد عن العلوم والصّنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنيّة على معرفة طبائع المركّبات وأمزجتها وكتب النّاظرين في ذلك من الطّبيعيّات والطّبّ لم تظهر بعد ولم تترجم اللهمّ إلّا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصّناعيّة تشبّه باسمه فممكن ...)).[20]

ثامن عشر: لا بد من استحضار الفرق بين العلوم التي هي من إنجازات الحضارة الإسلامية بين الماضي والحاضر وهذا راجع إلى تطور العلوم توسعا وتشعبا وتخصصا.

مثال: علم الفلك.

علم الفلك قسمان :

([17]) الكيمياء في السابق يختلف عن كيمياء اليوم – بعض الشيء – لأنها في السابق كانت تُعنى بتحويل النحاس ونحوه إلى الذهب والفضة ، وكانت قرينة للسحر والسيمياء ، أما اليوم فلا يزال تحويل المواد من مادة إلى أخرى باقية فيه ، ولكنها اتسعت لتشمل الصيدلة وعلومها الدوائية والتركيبات والمحاليل وغيرها .

([18]) البداية والنهاية، ابن كثير. (9 /95).

([19]) انظر: السير (9/411-412)، البداية والنهاية (9/95)، تهذيب التهذيب (3/128).

([20]) تاريخ ابن خلدون. المحقق: خليل شحادة.ط/2. 1408هـ - 1988م. الناشر: دار الفكر، بيروت. (1/ 696).

الأول: هو معرفة منازل القمر والنجوم والمطالع وغيرها مما يعين في معرفة القبلة والاهتداء في البر والبحر ونحوها ، وهو ما يسمى بـ (علم التسيير) .

الثاني: هو الاستدلال بالحوادث الفلكية على الحوادث الأرضية وادعاء معرفة الغيب ، وهو ما يعرف بـ (التنجيم) ويسمى (علم التأثير).

فالأول جمهور العلماء على جوازه، والثاني جميع العلماء على منعه.

تاسع عشر: بما أن التاريخ مرتبط بالحضارة ملازم لها ملازمة الظل للشاخص؛ فينبغي أن ندرس التاريخ دراسة علمية منهجية إسلامية متحررة من ربقة التقليد الأعمى، والتأثر بالمنهج الغربي في دراسته للتاريخ وتناوله له.[21]

مثال: تقسيم التاريخ إلى عصور قديمة ووسطى وحديثة، مع ربط ذلك بتاريخ أوربا فقط...وكأن التاريخ لا يجري إلا من أجل أوربا لا غير.

فينبغي تجاوز هذه العقبات والشبهات في دراسة الحضارة الإسلامية، والتي وضعها المستشرقون وأتباعهم في بلاد الإسلام؛ لما لها من تأثير سَلبي في فهم ثقافة الحضارة الإسلامية ومَدَنيتها. وبما أن التاريخ الإسلامي مصدر من مصادر الحضارة الإسلامية فما يطاله من انحراف في دراسته سيطال أيضا دراسة الحضارة الإسلامية.

عشرون: أن تُدرَّس مادة الحضارة الإسلامية من متخصصين في الشريعة الإسلامية والتاريخ الإسلامي مع اطلاعٍ وافٍ على الحضارات الأخرى. ولا يُترك تدريس هذه المادة لغير المتخصصين الذين يفسدون أكثر مما يصلحون، ولا إلى من تشبع بالثقافة الغربية الاستشراقية الذين يفسدون ولا يصلحون.

([21])انظر: نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي. عبد الرحمن علي الحجي. ط/3. 1399هـ-1979م. مكتبة الصحوة. حيث ذكر ص/13 منابع دراستنا للتاريخ ، وص/17مخطط الدس على التاريخ وطبيعته وهيكله، ثم ذكر ص/25 وسائل الأعداء من ص/25 تشويه وص/26 تجهيل، وص/29 تشكيك، وص/47 تجزئة، وص/48 إهمال. ثم ختم ص/55 بمفتريات شاملة في تفسير التاريخ الإسلامي ص/55 كدافع الغنيمة، وص/61 التفسير المادي للتاريخ، وص/72 انتشار الإسلام بالسيف، وص/75ا لتفسير القومي للتاريخ.

وعلى المتخصّصين بالعلم الشرعي والتاريخ الإسلامي أن يقوموا بالكتابة عن الحضارة الإسلامية، وأن يُقبِلوا على دراسة الحضارات، وألا يزهدوا بهذا العلم الهام الذي غدا وسيلة لغزونا، وترويج بضاعة فاسدة تُصدَّر إلينا.

أختم بهذه الاقتباسات التي تدور حول المنهج الذي ينبغي الالتزام به في دراسة حضارتنا الإسلامية:

أولا: ... وهنا ينبغي أن نشير إلى أننا لسنا بحاجة إلى قراءة تبريرية ، أو دفاعية للتاريخ الإسلامي أو تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، كما أننا لسنا بحاجة إلى قراءة بعيون وردية تجرد التاريخ الإسلامي من طابعه البشري، وتحاول أن تجعله نوعاً من الفعاليات الإلهية ، فقد كان المسلمون الأوائل بشراً مثل سائر البشر ، ولكنهم كانوا أصحاب مرجعية تمثل قوام حضارتهم، وعليها مدار حياتهم، ويجب إعادة قراءة تاريخيهم في ضوء هذه المرجعية ، وليس في ضوء مرجعيات أخرى لم يكن أصحاب هذه الحضارة يعرفون عنها شيئا، كما أنها ليست ملزمة لنا في حاضرنا بشيء.

ويتمثل خطر القراءة التبريرية أو الدفاعية، للتاريخ الإسلامي في أنها تتصور أن الحضارة العربية الإسلامية كانت حضارة أحادية الجانب، وهو أمر لا يمكن أن يكون صحيحاً من ناحية، كما أنه يعيق فهمنا لتاريخنا من ناحية أخرى، فقد كانت الحضارة العربية الإسلامية حضارة متعددة الجوانب، حققت الكثير من الإنجازات، وحفلت بالعديد من السلبيات، شأن كل حضارات البشر، ولكنها في التحليل الأخير كانت حضارة إنسانية الطابع، فتحت ذراعيها لكل الأجناس والديانات فأفادت منهم وأفادتهم.

وربما يكون هذا هو السبب في أن هذه الحضارة هي الأطول عمراً بين حضارات البشر، والأوسع في مداها الجغرافي، كما أن مراكز الثقل فيها تنقلت بين كل الأقاليم الحضارية القديمة في العالم، كذلك فإن القراءة التبريرية تحمل خطراً آخر هو الإحساس بالدونية الحضارية إزاء الآخر الذي يهاجم حضارتنا وتاريخنا، والإحساس بالدونية يعيق القراءة الواعية للتاريخ على أي حال.[22]

([22]) تاريخنا... هل من الضروري إعادة كتابته ؟ قاسم عبده قاسم. مجلة العربي الكويتية، عدد ربيع الأول سنة 1427هـ.

ثانيا: نحن لا نريد التحدث عن حضارة الأجداد حديث المتفاخر المتواكل، بل حديث المربي في معركة الغزو الفكري والثقافي معركة التحدي والصمود، حديث من يريد بناء جيل عربي يستمد مقومات شخصيته من ماضيه، مرسخا أقدامه في أرض أمته وتاريخها المجيد محافظا على شخصيته الحضارية بعيدا عن التقليد الأعمى، والتواكل واليأس. حديث من يؤمن بأن أجداده كانوا بناة حضارة وحملة مشاعل العلم ودعاة حرية الفكر ومن الطبيعي حينئذ أن يكون الأبناء كآبائهم، وقد حملوا في صدورهم نفوسا كتلك النفوس، وعقولا تعمل في مجالات الدراسة والبحث والإبداع والاكتشاف. إن من أولى واجباتنا أن نستلهم من تاريخ أمتنا ومن صفحات حضارتنا المشرقة ما يحرك في نفوس الأجيال العربية معاني العزة والكرامة وما يدفع بها في الطريق المؤدي بها إلى الرقي والتقدم والمنعة والقوة.[23]

([23]) دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل.ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق.23-24.

المحاضرة الثالثة ((03)):

دراسة الحضارة الإسلامية:
الأهمية، الدوافع، الأهداف

يرتكز الدرس على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

- أهداف المحاضرة الثالثة.
- أهم مراجع المحاضرة الثالثة.
  1) الأهمية العقدية:
  2) الأهمية العلمية والمعرفية.
  3) الأهمية الأخلاقية والسلوكية.
  4) الأهمية النفسية.
  5) الأهمية التاريخية.
  6) الأهمية الحضارية.
- شهادات من علماء الغرب بأهمية الحضارة الإسلامية.
- دوافع دراسة مادة الحضارة الإسلامية وأهدافها.

أهداف المحاضرة الثالثة:

1/ الوقوف على أهمية دراسة الحضارة الإسلامية من الناحية: العقدية، العلمية والمعرفية، الأخلاقية والسلوكية، النفسية، التاريخية، الحضارية.

2/ ذكر شهادات من علماء الغرب بأهمية الحضارة الإسلامية.

3/ معرفة الدوافع لدراسة مادة الحضارة الإسلامية.

4/ الاطلاع على أهداف دراسة مادة الحضارة الإسلامية.

أهم مراجع المحاضرة الثالثة:

1/ علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام معدى الحسيني. ط/1. 2007. دار الكتاب العربي دمشق. ص/149.

2/ الترجمة في الأندلس وأثرها على الحضارة الأوربية. [500هـ-900هـ/1100م-1500م]. عن اللغة العربية أنموذجا. خيرة شريفي. جامعة الطاهر مولاي. سعيدة. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. قسم العلوم الإنسانية. شعبة تاريخ. مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس.السنة الجامعية:1437هـ-1438هـ/2017م-2018م. ص/ 50-52

3/ الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل.عبد الحليم عويس. ط/1. 1431هـ/2010م. الصحوة للنشر والتوزيع. (ص/288-293). شهادات استشراقية منصفة للحضارة الإسلامية.

4/ ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ط/2. 1430هـ-2009م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. (ص/724). شهادات المنصفين الغربيين في تقدير الحضارة الإسلامية. في ميدان العلوم، الأخلاق، الفكر.

5/ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/ 1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر –والتوزيع. (ص/7-10).

6/ مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية. شحادة الناطور، أحمد عودات، جميل بيضون. ط/1. 1989م. دار الأمل للنشر والتوزيع. عمان. (ص/5).

تمهيد:

لدراسة الحضارة الإسلامية أهمية متنوعة، وهذا التنوع راجع إلى ثراء مادة الحضارة الإسلامية فهي تستمد من القرآن الكريم وتفسيره، ومن السنة النبوية وشرحها، ومن السيرة النبوية وفوائدها، ومن التاريخ وعبره، كما تستمد من العقيدة وصفائها، ومن الأخلاق وسموها ... وسأشير إلى بعضها:

1/ الأهمية العقدية:

معرفة عقائد الأمم قبل الإسلام والتي كانت تقوم على الشرك والوثنية والخرافات والأساطير، وكيف غيرت عقيدة الإسلام عقيدة التوحيد العالم في مدة يسيرة بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، فأسسوا حضارة على أساس التوحيد (لا إله إلا الله) في جميع مجالاتها وميادينها.

2/ الأهمية العلمية والمعرفية.

يعرف الدارس علوم الحضارات السابقة لحضارة الإسلام، وأن هذه العلوم تطورت لما اقتبس منها المسلمون الذين لم يأخذوا من هذه العلوم إلا ما يوافق العقيدة والشريعة ولا يتعارض معهما، كما يطلع الدارس على الإضافات التي أضافها المسلمون على العلوم المقتبسة وهي إضافات معتبرة جعلت هذه العلوم تحت تصرف المسلمين، كما يقف الدارس على اختراعات المسلمين وابتكاراتهم في مختلف العلوم النظرية والتجريبية.

3/ الأهمية الأخلاقية والسلوكية.

الاطلاع على قيم الحضارة الإسلامية وأخلاقها كالعدل والأمانة والرحمة ...وهذا سيكون له أثر عميق على المسلم الذي يسعى إلى تحقيق المستوى الحضاري الإسلامي الذي يتزين بزينة الأخلاق والقيم.

الحضارة الإسلامية جزء من الشخصية الإسلامية. فمن التناقض الواقع أن يدعي أحدنا أنه ذو شخصية إسلامية وهو يتحضر بالحضارة الغربية.

4/ الأهمية النفسية.

دراسة الحضارة الإسلامية تجعل الدارس يعتز بها، ويتألم على ضعفها وتأخرها، ولكن لا تجعله ييأس من عودتها وقيامها وذلك لما تملكه هذه الحضارة من الخصائص التي جعلتها المؤهلة لقيادة العالم من جديد، خاصة بعد سقوط كل الأنظمة وانهيارها، وفشل كل التجارب وبطلان كل النظريات التي ادعى أصحابها أنها حبل النجاة، وإكسير السعادة.

5/ الأهمية التاريخية.

وهذا أمر لا يخفى فالأمية التاريخية تأتي من ارتباط الحضارة بالتاريخ الذي هو ظرفها الزماني، وبه نتابع ميلاد الحضارات وتطورها وأفولها وزوالها، ومن خلاله نعرف أَعلامها من حكام وعلماء وقادة ...كما نطلع على إنجازاتها وإسهاماتها. ولكن مع أخذ العبرة والحكمة كما قال تعالى: { لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب }[يوسف:110].

ومن هنا ينبغي تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تسربت إلى عقول المسلمين حول الحضارة الإسلامية كاعتقاد كثير منهم أن مادة الحضارة الإسلامية عبارة عن تاريخ يحكى وأطلال يوقف عليها نرثيها بشِعرنا ودموعنا.

إن دراسة الحضارات في التاريخ تعرفنا بسنن الله تعالى في هذا الكون كالأخذ بالأسباب والتي لا تحابي أحدا فمن أخذ بها وصل وإن كان كافرا، ومن لم يأخذ بها تخلف وإن كان مسلما. كسنن الله تعالى في التعامل مع هذه الحضارات، وكان تعامله معها دائرا بين فضله ورحمته ونصره وتمكينه لمن أَطَاعَتْهُ، وعدله وعذابه وهزيمته وهلاكه لمن عَصَتْهُ.

6/ الأهمية الحضارية.

دراسة الحضارة عموما والحضارة الإسلامية خصوصا تُعرِّف الدارس أسباب قوة الحضارة وازدهارها وتمكنها وتقدمها، كما تعرفه بأسباب ضعفها وتراجعها وسقوطها وزوالها... وهذا يدفع الدارس إلى السعي للأخذ بأسباب نهوض الحضارة الإسلامية وقيامها وبعثها من جديد. كما يدفع الدارس إلى اجتناب الأسباب التي أدت إلى ضعف الحضارة الإسلامية وتراجعها. شعارهم في ذلك قوله تعالى: {أفمن أسس بيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين}[التوبة:109].

يقول محمد أحمد جودة:

((الحضارة الإسلامية من أهم وأعظم الحضارات التي ظهرت وأثرت في تاريخ البشرية منذ بدايتها وحتى الآن، وهي نموذج عالمي يقتدي به ويصلح للتطبيق في أي مكان وزمان ولذلك يجب أن يعرف الطالب عناصر هذه الحضارة وكيف نشأت ونجحت ومدى تأثيرها وتأثرها بالحضارات الأخرى. وأن يعرف أيضا مدى أهمية العلم في هذه الحضارة، ودوره وأهم العلوم التي ظهرت فيها ...))[24].

شهادات من علماء الغرب بأهمية الحضارة الإسلامية.[25]

هذه شهادات غربية على أهمية الحضارة الإسلامية نسوقها على سبيل الاعتضاد لا على سبيل الاعتماد، لأننا لسنا بحاجة لكي يشهد لنا الغرب بأهمية حضارتنا وتفوقها فالشيء من معدنه لا يستغرب، فمعدن الحضارة الإسلامية ومادتها الأساسية القرآن الكريم والسنة المطهرة، فماذا ننتظر من حضارة صنعها القرآن والسنة؟

ثم إنني أنبه إلى أمر ربما يغفل عنه من يقرأ هذه الشهادات، وهو: ما هو الجانب الحضاري الذي يريده الغرب بهذه الشهادات؟ هل هو الجانب المعنوي للحضارة الإسلامية أم هو الجانب المادي؟ ولا شك أننا إذا عرفنا أن حضارة الغرب حضارة مادية وأنها تفسر المظاهر والأشياء وفقا لهذه النزعة فإننا سنعرف الجواب الصواب وهو أن هذه الشهادات يغلب عليه الجانب المادي من حضارتنا مع أنني أقر بوجود شهادات أخرى تتعلق بالجانب المعنوي كما سيأتي ذكره ولكنه قليل.

([24]) محتوى الحضارة الإسلامية. جامعة الملك فيصل. التعليم عن بعد. btihalino.blogspot.com

([25]) انظر: علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام معدى الحسيني. ط/1. 2007. دار الكتاب العربي دمشق. ص/147-153.

الترجمة في الأندلس وأثرها على الحضارة الأوربية. [500هـ-900هـ/1100م-1500م]. عن اللغة العربية أنموذجا. خيرة شريفي. جامعة الطاهر مولاي. سعيدة. كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية. قسم العلوم الإنسانية. شعبة تاريخ. مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس. السنة الجامعية: 1437هـ-1438هـ/2017م-2018م. ص/50-52.

الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس. ط/1. 1431هـ/2010م. الصحوة للنشر والتوزيع. ص/288-293. ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ط/2. 1430هـ-2009م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. ص/724-737.

إن حضارتنا الإسلامية لا يسرها أن يشهد الناس لها بالتفوق والرقي في الجانب المادي والجانب المعنوي بقدر ما يسرها أن يشهد الناس ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. هذا هو المقصود من الفتوح الإسلامية التي قامت بها حضارتنا أن تخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

إن جمع شهادات المستشرقين والغربيين التي أنصفت الحضارة الإسلامية يحتاج إلى كتاب مستقل[26] ولا تسعه صفحة ولا صفحتان من هذه المذكرة، ولهذا ما سنذكره إنما هو غيض من فيض كما يقولون، ويمكن أن نلاحظ أن هذه الشهادات وغيرها مما لم أذكر يمكن تصنيفها إلى مجموعات كأن تكون شهادات في ميدان العلوم، وشهادات في ميدان الأخلاق، وشهادات في ميدان الفكر[27]:

برنال: قال: ((إن الفضل، أعظم الفضل، للعلماء العرب في الحفاظ على هذا التراث وتدوينه ونقله والتأليف فيه، وإن العلماء العرب قد برعوا في ذلك وتفوقوا على الإغريق بأن جعلوا العلم سهلاً مستساغاً، فأقبل الناس على النهل منه، وكانت هذه ميزة انفرد بها العلم العربي)).

كاربنسكي: قال: ((إن الخدمات التي أداها العرب للعلوم غير مقدرة حق قدرها من المؤرخين، وإن البحوث الحديثة تدل على عظيم دَيْنِنَا للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم حين كانت أوربا غارقة في ظلمات القرون الوسطى، وإن العرب لم يقتصروا على نقل علوم الإغريق بل زادوا عليها وقاموا بإضافات مهمة فيها)).

أوسلر: قال: ((لئن أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية، فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا شعلة وهاجة استفاد بنورها أهل الأرض)).

([26]) وقد قام الحسيني بتأليف كتاب في هذا الغرض وهو: علماء وحكماء من الغرب أنصفوا الإسلام. معدى الحسيني. ط/1. 2007. دار الكتاب العربي دمشق.

([27]) انظر: ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ص/724.

ليبري: قال: ((لولا العرب لتأخر عصر النهضة في أوربا لعدة قرون، فلقد لمع العرب في كل الميادين العلمية، وفي الوقت الذي كان فيه الشعراء والفقهاء يقومون بأدوارهم في نهضة العرب الروحية والنفسية والخلفية، كان العلماء في كل الميادين يقومون بقسطهم من البحث والنقل والتجويد، ولم يتركوا باباً إلا طرقوه إن لم يكونوا قد فتحوا في العلم أبواباً جديدة)).

ديلاس أولبري: قال: ((لو أزيل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة في أوربا بضعة قرون، فقد علَّمت الأمة العربية الغرب بعد أن أيقظته لمدة خمسة قرون أو ستة، وحتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا –ولاتزال– تناقش في جامعة مونبلييه بفرنسا)).

مثلاً يقول "توماس أرنولد": ((كانت العلوم الإسلامية وهي في أوج عظمتها تضيء كما يضيء القمر فتُبدد غياهب الظلام الذي كان يلف أوربا في القرون الوسطى)).

ويقول "جورج سارتون" في كتابه "مقدمة في تاريخ العلم": ((إنّ الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فـ"المسعودي" أعظم الجغرافيين، و"الطبري" أعظم المؤرخين)).

كذلك يُبدي "تومبسون" إعجابه بالعلوم الإسلامية فيقول: ((إن انتعاش العلم في العالم الغربي نشأ بسبب تأثر شعوب غربيِّ أوربا بالمعرفة العلمية العربية، وبسبب الترجمة السريعة لمؤلفات المسلمين في حقل العلوم ونقلها من العربية إلى اللاتينية لغة التعليم الدولية آنذاك)). ويقول في مكان آخر: ((إن ولادة العلم في الغرب ربما كان أمجد قسم وأعظم إنجاز في تاريخ المكتبات الإسلامية)).

وقد أبدى الباحث اليهودي "فرانز روزانتال" إعجابه الشديد ودهشته البالغة لسموّ الحضارة الإسلامية وسرعة تشكلها، **فيقول**: ((إن ترعرع هذه الحضارة هو موضوع مثير ومن أكثر الموضوعات استحقاقًا للتأمل والدراسة في التاريخ، ذلك أن السرعة المذهلة التي تم بها تشكل وتكوّن هذه الحضارة أمر يستحق التأمل العميق، وهي ظاهرة عجيبة جدًّا في تاريخ نشوء وتطور الحضارة، وهي تثير دومًا وأبدًا أعظم أنواع الإعجاب في نفوس الدارسين. ويمكن تسميتها بالحضارة المعجزة، لأنها تأسست وتشكلت وأخذت شكلها النهائي بشكل سريع جدًّا ووقت قصير جداً، بحيث يمكن القول إنها اكتملت وبلغت ذروتها حتى قبل أن تبدأ)).

روبرت بريفولت: قال: ((إن القوة التي غيرت وضع العالم المادي كانت من نتاج الصلة الوثيقة بين الفلَكيين والكيميائيين والمدارس الطبية، وكانت هذه الصلة أثرًا من آثار البلاد الإسلامية والحضارة العربية، إن معظم النشاط الأوربي في مجال العلوم الطبيعية إلى القرن الخامس عشر الميلادي كان مستفادًا من علوم العرب ومعارفهم، وإني قد فصلت الكلام في الدور الذي لعبته العربية في اليقظة الأوربية، لأن الكذب والافتراء كانا قد كثرا في العصر الحاضر، وكان التفصيل لا بد منه للقضاء عليهما)).

ويقول المستشرق "أدم متز" في كتابه "الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري": ((لا يعرف التاريخ أمة اهتمت باقتناء الكتب والاعتزاز بها كما فعل المسلمون في عصور نهضتهم وازدهارهم، فقد كان في كل بيت مكتبة)).

ويقول "رينيه جيبون": ((لم يدرك كثير من الغربيين قيمة ما اقتبسوه من الثقافة الإسلامية، ولا فقهوا حقيقة ما أخذوه من الحضارة العربية في القرون الماضية)).

ويذكر "هينولد" أن ما قام على التجربة والترصد هو أرفع درجة في العلوم، وأن المسلمين ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء. فقد قام منهاج المسلمين على التجربة والترصد وكانوا أول من أدرك أهمية المنهاج في العالم، وظلّوا عاملين به وحدهم زمنًا طويلا)).

ويقول "دُولنبر" في كتاب "تاريخ الفلك": ((لقد منَح اعتمادُ العرب على التجربة مؤلفاتِهم دقة وإبداعاً، ولم يبتعد العرب عن الإبداع إلا في الفلسفة التي كان يتعذر قيامها على التجربة)). ويستطرد قائلاً: ((ومن مباحثنا في أعمال العرب العلمية أنهم أنجزوا في ثلاثة قرون أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يزيد على ما حققه الأغارقة في زمن أطول من ذلك كثيرًا، وكان تراث اليونان قد انتقل إلى البيزنطيين الذين عادوا لا يستفيدون منه زمنا طويلا، ولما آل إلى العرب حوّلوه إلى غير ما كان عليه، فتلقّاه ورثتهم (يقصد الأوروبيين حديثاً) وحوّلوه مخلوقاً آخر)).

يقول "ليبري": ((لو لم يظهر المسلمون على مسرح التاريخ لتأخرت نَهضة أوروبا الحديثة عدة قرون)).

ولقد أشار أيضاً إلى هذا المعنى المؤرخُ الفرنسيُّ الشهير **"سديو"** في تاريخه الكبير، الذي ألفه في عشرين سنة، بحثًا عن تاريخ المسلمين، وعظيم حضارتهم، ونتاجهم العلمي الهائل، **فقال:** ((لقد استطاع المسلمون أن ينشروا العلوم والمعارف والرقيَّ والتمدُّن في المشرق والمغرب، حين كان الأوروبيون إذ ذاك في ظلمات جهل القرون الوسطى...)).

إلى أن يقول: ((ولقد كان العرب والمسلمون –بما قاموا به من ابتكارات علمية– ممن أرْسَوا أركان الحضارة والمعارف، ناهيك عما لهم من إنتاج، وجهود علمية، في ميادين علوم الطب، والفلك، والتاريخ الطبيعي والكيمياء والصيدَلَة وعلوم النبات والاقتصاد الزراعي وغير ذلك من أنواع العلوم التي ورِثناها نحن الأوروبيين عنهم، وبحقٍّ كانوا هم معلمينا والأساتذة لنا)).

ويذكر "سديو" أيضا: ((أن المسلمين سبقوا كيبلر وكوبرنيك في اكتشاف حركات الكواكب السيارة على شكل بَيضِي وفي دوَران الأرض، وفي كتبهم من النصوص ما تعتقد به أن نفوسهم حدثتهم ببعض اكتشافات العلم الحديث المهمة)).

غوستاف لوبون صاحب كتاب "حضارة العرب" حيث يقول: ((وكلما أمعنا في دراسة حضارة العرب والمسلمين وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة وأفاق واسعة، ولسرعان ما رأيتَهم أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وإن جامعات الغرب لم تعرف لها مدة خمسة قرون موردًا علميًّا سوى مؤلفاتهم، وإنهم هم الذين مدّنُوا أوروبا مادة وعقلاً وأخلاقا، وإن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير، وأنه لم يَفُقْهم قوم في الإبداع الفني)).

ويستطرد قائلاً: ((ولم يقتصر فضل العرب والمسلمين في ميدان الحضارة على أنفسهم؛ فقد كان لهم الأثر البالغ في الشرق والغرب، فهُما مدينان لهم في تمدّنِهم، وإن هذا التأثير خاص بهم وحدهم؛ فهم الذين هذّبوا بتأثيرهم الخُلُقي البرابرة، وفتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالَم المعارف العلمية والأدبية، فكانوا مُمدِّنين لنا وأئمة لنا ستة قرون، فقد ظلّت ترجمات كتب العرب ولا سيما الكتب العلمية مصدرًا وحيدًا للتدريس في جامعات أوروبا خمسة أو ستة قرون. فعَلى العالم أن يعترف للعرب والمسلمين بجميل صنعهم في إنقاذ تلك الكنوز الثمينة)).

زيغريد هونكة: ترى هذه المستشرقة الألمانية الشهيرة أن ((القفزة السريعة المدهشة في سُلّم الحضارة التي قفزها أبناء الصحراء والتي بدأت من اللاشيء لهي جديرة بالاعتبار، وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحقة التي جعلت منهم سادة الشعوب المتحضرة الفريدة من نوعها، لدرجة تجعلها أعظم من أن تقارن بغيرها)).

لقد قدم المسلمون أثمن هدية للبشرية و المتمثلة حسب زيغريد هونكة في طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة.

تقول:

((أشد ما يغبن حق العرب حين يكتفى بالقول إنهم نقلوا التراث القديم إلى العالم الغربي بعد أن حفظوه من الدمار، وذلك يعني التقليل من قيمتهم والسكوت عن الأمور الجوهرية في عملهم الحضاري وجعلهم مجرد وسطاء لا غير، والحقيقة أن سائر مناحي الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية في الغرب مدموغة بآثارهم)).

بريفولت: يؤكد أن ما من ناحية من نواحي الازدهار الأوربي إلاّ ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية و العربية بصورة قاطعة، وأن ((ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدّموه لنا من كشوف هامة و مدهشة ونظريات علمية مبتكرة بل إنه مدين بوجوده ذاتهو، لقد انبعثت الحضارة الإسلامية العربية المتميزة انبعاثا طبيعيا من القرآن وتميزت عن الحضارات البشرية المختلفة بطابع العدل والأخلاق والتوحيد،كما اتسمت بالسماحة والإنسانية والأخوة العالمية)).

جورج سارتون: الذي يرى ((أنّ المسلمين عباقرة الشرق لهم مأثرة عظمى على الإنسانية، تتمثل في أنهم تولوا كتابة أعظم الدراسات قيمة وأكثرها أصالة وعمقا، لقد بلغ المسلمون معجزة العلم العربي)).

أنا تول فرانس: يؤكد هذا المؤرخ على أنّ ((أسوأ يوم في التاريخ هو يوم معركة بواتييه، عندما تراجع العلم والفن والحضارة العربية أمام بربرية الفرنجة)).

كارا دي فو: لقد توصل كارا إلى حقيقة مؤكدة تجعل العلماء المسلمين في المقدمة حيث يؤكد((أن العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق والتحرر ووصلوا إلى قمة نشاطهم)).

موريس بوكاي: يرى موريس أن الإسلام أسهم في تطور الحضارة الغربية وازدهارها وذلك في قوله ((ونحن نعلم أن الإسلام ينظر إلى العلم والدين كتوأمين، وأن تهذيب العلم كان جزءا من التوجيهات الدينية منذ البداية وأن تطبيق هذه القاعدة أدّى إلى التقدم العلمي العجيب في عصر الحضارة الإسلامية العظمى التي استفاد منها الغرب قبل النهوض)).

مونتجومري وات: يؤكد هذا المؤرخ الأوربي، أنّ العرب قد أسهموا إلى حد كبير في النهوض بالحضارة الأوربية وأنّ هذه الإسهام الفكري المتميز يجب أن يعطى حقه، كما يجب أن تُفنّد جميع الانطباعات الخاطئة الموجهة ضد الأمة العربية الإسلامية ((إنّ من أهم واجباتنا معشر الأوربيين الغربيين أن نصحح المفاهيم الخاطئة وأن نعترف اعترافا كاملا بالديْن الذي ندين به للعالم العربي والإسلامي)).

خوان فيرنيث: إنّ المعارف الإسلامية التي انتقلت إلى العالم الغربي، بفضل الترجمات التي تمت من العربية إلى اللغة اللاتينية في نظر خوان تعتبر((مبعث الانطلاقة العلمية الهائلة لعصر النهضة، وأنّ إحصاءا بسيطا للنصوص العلمية التي نشرت آنذاك، يقيم الدليل على الفضل الكبير الذي يدين به الغرب للأندلس)).

ليفي بروفنسال: لقد كانت الحضارة العربية واسطة العِقد بين تراث أوربا المسيحية وحاضرها، فالعرب في نظر ليفي بروفنسال بالإضافة إلى منح علومهم ومعارفهم، استطاعوا أن يحافظوا على تراث الإغريق والرومان فالعلم عند العرب ((كان نهر الحضارة الذي ينهمر في قرطبة يحفظ جوهر الفكر القديم وينقله إلى العالم الجديد)).

بترارك: أما الشاعر الايطالي الشهير بترارك فيقف وقفة إعجاب وحيرة في نفس الوقت تجاه الإبداع الفكري الفريد للحضارة العربية ويتبين ذلك من خلال عباراته((يا عجبا لقد استطاع شيشرون أن يكون خطيبا بعد ديموستين واستطاع فرجيل أن يكون شاعرا بعد هوميروس، فلِمَ قُدر علينا ألاّ نؤلف بعد العرب لقد تساوينا نحن والإغريق وجميع الشعوب وسبقناهم خلا العرب)).

دوافع دراسة مادة الحضارة الإسلامية وأهدافها.[28]

إن أهمية دراسة الحضارة الإسلامية هي إحدى الدوافع إلى دراستها ثم هناك دوافع وأهداف نجملها فيما يلي:

1/ صحوة الأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى إعادتها إلى هويتها الأصلية التي تعتبر أساس انطلاقتها وهذه الهوية هي حضارتها الأصيلة بعقيدتها وثقافتنا ولغتها وتراثها وتقاليدها.

2/ إفلاس الغرب المادي، وانفضاحه بعدما خدع الناس بشعاراته البراقة التي كذبها واقعهم المظلم، وفعلهم المشين. فباسم الحضارة والثقافة والحرية والعدل ... فعلوا الأفاعيل بشعوبهم وغيرهم من شعوب العالم. في هذا الوضع تطلع الناس إلى من ينقذهم من براثن هذا المحتال المقنع فناسب تقديم الحضارة الإسلامية التي أنقذت البشرية فيما مضى من الظلمات إلى النور، وهي اليوم أيضا مستعدة لتقوم بدورها الإنقاذي.

3/ خلو الواقع المعيش من كثير من القيم التي افتقدها الناس ولم تقم بها الحضارة الغربية المادية ولا غيرها، وهي موجودة بكمالها في الحضارة الإسلامية مما يجعلها المؤهلة بجدارة لملء هذا الفراغ الرهيب في ساحة القيم والمبادئ.

4/ تسرب الكثير من المفاهيم الخاطئة على مفهوم الحضارة سواء ما تعلق بجانبها المادي كتسمية صناعة واختراع المهلكات والمضرات حضارة، أو ما تعلق بجانبها المعنوي كتسمية الشذوذ والزواج المثلي حضارة. ففي الحضارة الإسلامية توضع الأمور في نصابها، فيتبين الرشد من الغي والحق من الباطل والمعروف من المنكر.

([28]) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر –والتوزيع. (ص/7–10). مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية. شحادة الناطور، أحمد عودات، جميل بيضون. ط/1. 1989م. دار الأمل للنشر والتوزيع. عمان. (ص/5).

المحاضرة الرابعة ((04)):

مصادر الحضارة الإسلامية

[الجزء الأول]

يرتكز الدرس على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

- أهداف المحاضرة الرابعة.
- أهم مراجع المحاضرة الرابعة.
- **المصدر الأول**: القرآن الكريم.
  - محاور القرآن الكريم الرئيسة.
  - موقف القرآن الكريم من الحضارة.
  - فكرة الإسلام عن التاريخ الحضاري.
  - معجم ألفاظ القرآن الكريم في الحضارة.
- **المصدر الثاني**: السنة النبوية.
- **المصدر الثالث**: العقيدة الإسلامية.
  - البعد الحضاري في التوحيد.
  - البعد الحضاري في الإيمان بالله.
  - البعد الحضاري في ٱيمان بالملائكة.
  - البعد الحضاري في الإيمان بالكتب.
  - البعد الحضاري في الإيمان بالرسل.
  - البعد الحضاري في الإيمان باليوم الآخر.
  - البعد الحضاري في الإيمان بالقدر.

أهداف المحاضرة الرابعة:

1/ بيان مصادر الحضارة الإسلامية التي تستمد منها عقيدتها وشريعتها وأخلاقها ولغتها وقيمها وخصائصها.

2/ ذكر المصدر الأول: القرآن الكريم، وبيان الجوانب الحضارية فيه.

3/ ذكر المصدر الثاني: السنة النبوية، وبيان الجوانب الحضارية فيها.

4/ ذكر المصدر الثالث: العقيدة الإسلامية، وبيان الجوانب الحضارية فيها.

5/ ذكر المصدر الرابع: الأخلاق الإسلامية، وبيان الجوانب الحضارية فيها.

6/ ذكر المصدر الخامس: اللغة العربية وآدابها، وبيان الجوانب الحضارية فيها.

أهم مراجع المحاضرة الرابعة:

1/ المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. رمضان عبد التواب. ط/3. 1417هـ - 1997م. الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.(ص: 3)

2/ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. محمود السعران. ط/2. 1997. الناشر: دار الفكر العربي. القاهرة. (ص: 5)

3/ أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية. أحمد علي الملا. ط/2. 1981/1404. دار الفكر دمشق.

4/ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة.

5/ الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس. ط/1. 1431هـ/2010م. الصحوة للنشر والتوزيع. القاهرة.

6/ الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة. شوقي أبو خليل ط/2. 1417هـ/1996م. دار الفكر بدمشق.

7/ دور الحضارة الإسلامية في نهضة أوروبا. هاني المبارك. شوقي أبو خليل. ط/1. 1417هـ-1996م. دار الفكر. دمشق.

8/ موقف القرآن الكريم من الحضارة. قيس عبد الرحمن جاسم. العدد السادس والأربعون. مجلة ديالي/2010. ص/306-328.

9/ معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة. الأثار والعمارة والفنون. عثمان عثمان إسماعيل. ط/1. 1994م.

تمهيد:

تستمد الحضارة الإسلامية عقيدتها، وشريعتها، وأخلاقها، ولغتها، وقيمها، وخصائصها ... من القرآن الكريم، والسنة والنبوية، والعقيدة الإسلامية، والشريعة الإسلامية، والأخلاق الإسلامية، واللغة العربية وآدابها؛ فإلى بيان هذه المصادر مع ذكر الجوانب الحضارية فيها.

المصدر الأول: القرآن الكريم.

القرآن الكريم كتاب حياة، ومنهج وجود للإنسان بالمعنى الممتد للوجود، أي في الماضي والحاضر والمستقبل.

فيه الإجابات الشافية عن كل التساؤلات الكبرى حول الغيبيات(الميتافيزيقيا)، وحول الطبيعة البشرية، وأسلوب التعامل المنسجم مع الفطرة والسنة الكونية، وكل ذلك يرتبط بالمنهج أي بالشريعة ولا ينفك عن العقيدة.

القرآن الكريم مفتاح للعلوم والبحث والتفكير وما من علم من العلوم التي برز فيها المسلمون إلا ونجد في القرآن الكريم إشارات إلى ذلك العلم كالطب والصيدلة والفلك والجغرافيا والأحياء النبات والحيوان ...

القرآن أرشد الإنسان إلى النظرة الصحيحة إلى هذا الكون وكيف يؤدي وظيفته ودوره فيه.

محاور القرآن الكريم الرئيسة.

محاور القرآن الكريم التي عليها مداره ثلاثة:

1/ العقيدة والإيمان والتوحيد.

2/ التشريع والأحكام.

3/ الأخلاق والآداب والقصص.

وفي كل محور من هذه المحاور جوانب حضارية، سيأتي بيانها في مصادر الحضارة التالية.

والمقصود هنا أن القرآن الكريم تناول موضوع الحضارة في كثير من الآيات القرآنية كموقف الحضارات من بعثة رسل الله عليهم السلام، ومعتقداتها وثقافتها وعاداتها وأخلاقها وعمرانها وحرفها وصناعتها ... والأهم من ذلك سنن الله تعالى في التعامل مع هذه الحضارات، وكيف كان تعامله معها دائرا بين فضله ورحمته ونصره وتمكينه لمن أطَاعَتْهُ، وعدله وعذابه وهزيمته وهلاكه لمن عَصَتْهُ. ومن ذلك أيضا أسباب قيام الحضارات وأسباب سقوطها.

موقف القرآن الكريم من الحضارة.

إن القرآن الكريم في خطه الحضاري أعظم ما عرفته الإنسانية في تاريخها الطويل، وقد تضمن قواعد رصينة كفيلة في قيام مجتمع حضاري متطور.

إن من يمعن النظر في تاريخ الحضارة القرآنية وما حققته للإنسانية من أسباب النمو وعوامل الازدهار، يجد القرآن هو المنبع الأول الذي استقى منه الفكر الحضاري أسباب تقدمه ونمائهن فهو السر الكامن، والقوة المتحركة، والدعوة القائمة المستمرة في المنهج الحضاري عبر الأجيال.

القرآن كان ولا يزال يدعو إلى التطور الحضاري في كل جوانب الحياة، وإلى التحضر والرقي العلمي، ليتمكن الإنسان من خلال ذلك نشر طابعه الحضاري.

إن الصورة التي عرضها القرآن المجيد عن سقوط الحضارات القديمة إنما تذكير للإنسان الذي يريد بناء الحضارة على أساس مادي وفهم قاصر.

أرسى القرآن العظيم دعائم الحضارة الإنسانية من خلال الدعوة إلى سبيل العقل كما يدعو على سبيل الحكمة في كل شيء، ومن هنا كانت الحضارة القرآنية أساس الحضارة العالمية.[29]

([29]) موقف القرآن الكريم من الحضارة. قيس عبد الرحمن جاسم. العدد السادس والأربعون. مجلة ديالي/2010. (ص/306-328).

فكرة الإسلام عن التاريخ الحضاري.[30]

يحكي لنا القرآن ألوانا من سير الأمم الدابرة والشعوب الغابرة؛ لتكون عمقا أصيلا لحضارة المسلم، وجذورا غائرة لمدنيته، وتجربة حية على طريقه في مسيره، والقرآن في عرضه لذلك القصص الواقعي الذي عاش تجربة الحياة ومسيرة التاريخ، يرويها بأسلوب عملي، ولم يعرضها عرضا نظريا، فيعرض لك الأشخاص وحركاتهم وأخلاقهم وأفكارهم واتجاهات نفوسهم وبيئتهم الطبيعية والزمنية ويعرض أعمالهم وتصرفاتهم ونقاشهم يعرضها في غرائز الإنسان: في حبه وجشعه وظلمه وبغيه ورغبته في العلو وجمع المال واقتناص الشهوات والاستئثار بكل شيء، كما يصورها في خطوات الصالحين وجهدهم وجهادهم وتضحياتهم وصراعهم مع الباطل وجلادهم للظلم، في ثبات عجيب وصبر عميق ونفس مطمئنة.

وعن قصة هود عليه السلام مع قومه عاد [الشعراء:123-140]...هذا الدرس يعطي جوانب كثيرة لحضارة من الحضارات وأمة من الأمم لعبت بها الأهواء وقادتها المطامع والانحرافات حتى نالت عذاب الخزي في الحياة الدنيا ودارت عليها الدائرة...

معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة.[31]

القرآن الكريم بحق كتاب (دين وحضارة). وفي القرآن الكريم مئات الآيات التي تتناول الحضارة من جانبها الثقافي أو من جانبها المدني، ولو تفرغ مختص لجمع معجم لألفاظ القرآن الكريم في الحضارة لأخرج لنا كتابا يُفيد منه الدارسون والباحثون في الحضارة سواء من المسلمين ومن غيرهم

وهذا الذي دعا بعضَ الباحثين إلى تأليف معجم مفهرس لألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة واختار الأثار والعمارة والفنون نماذج وسأنقل لكم بعض الصور لنموذج واحد وهو: معجم ألفاظ العلم والقراءة والكتابة وأدواتهما.

([30]) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. (ص/322-323).

([31]) معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة. الأثار والعمارة والفنون. عثمان عثمان إسماعيل. ط/1. 1994م.

عنان عنان إسماعيل معجم ألفاظ القرآن الكريم

الوحدة الثانية

معجم ألفاظ
العلم والقراءة والكتابة وأدواتها

ثانيا : العلم والقراءة والكتابة وأدواتها

اللفظة ومرات الورود	الآية	الرقم والسورة	الصفحة بالمعجم المفهرس
العلم	علم، عَلِمَ، عِلْماً ومشتقاتها(780) مرة		480/469
عَلِمَ (12)	﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾	60 البقرة	
عَلِمْتَ + عَلِمْتُ (4)	﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾	65 الأنبياء	
عَلِمَتْ + عَلِمَتْ (3)	﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾	14 التكوير	
عَلِيمٌ (140)	﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	29 البقرة	
العِلْمُ (80)	﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا﴾	32 البقرة	
عِلْماً (14)	﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾	80 الأنعام	
	إقرأ ومشتقاتها (86) مرة		540/539
إقرأ (3)	﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾	1 العلق	
القُرْآنُ (58)	﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ﴾	82 النساء	
قَرَأْتَ (2)	﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآنَ﴾	98 النحل	
قرأناه (1)	﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾	18 القيامة	
قرآناً (10)	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً﴾	2 يوسف	
كَتَبَ	ونكتب وكاتبين والكِتَابُ ومشتقاتها (319) مرة		595/591
كَتَبَ (8)	﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ﴾	187 البقرة	
سنكتب (1)	﴿سَنَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾	19 ' الزخرف	
اكْتُبْ (1)	﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾	156 الأعراف	
كُتِبَ (13)	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾	183 البقرة	
	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ﴾	216 البقرة	
كَاتِبٌ (3)	﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالعَدْلِ﴾	282 البقرة	

الكِتَابُ (230)	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكَ الكِتَابَ﴾	7 آل عمران	
مكتوباً (1)	﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ﴾	157 الأعراف	
رَق (1)	وردت مرة واحدة ﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رِقٍّ مَنْشُورٍ﴾	الطور 3	324
سفرة (1)	﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾	15 عبس	351
	لسان ومشتقاتها (25) مرة		647
	﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾	103 النحل	
القَلَمُ (2)	﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ﴾	4 العلق	552
أقلام (1)	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾	27 لقمان	552
أقلامهم (1)	﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾	44 آل عمران	552
مسطوراً (2)	﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً﴾	58 الاسراء	350
مستطر (1)	﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾	53 القمر	350
مسطور (1)	﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾	2 الطور	350
يسطرون (1)	﴿وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	1 القلم	350
نستنسخ (1)	مرة واحدة ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	29 الجاثية	698
مرقوم (2)	﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾	9 المطففين	324
الرقيم (1)	﴿أَصْحَابَ الكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾	9 الكهف	324
رَقٌّ (1)	﴿فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾	3 الطور	324
لوح (1)	﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾	22 البروج	653
الألواح (4)	﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾	145 الأعراف	654
قِرْطَاس (2)	﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ﴾	7 الأنعام	543
قراطيس (1)	﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾	91 الأنعام	543
الصُحُف (6)	﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾	13 عبس	403
صُحُفاً (2)	﴿يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾	2 البينة	403
ورق (2)	﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾	121 طه	749
ورقة (1)	﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا﴾	59 الأنعام	749
بورقكم (1)	﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى المَدِينَةِ﴾	19 الكهف	749
مدادا (1)	﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِداداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾	109 الكهف	662
أسفارا (1)	﴿كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً﴾	5 الجمعة	352
منشور (1)	﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾	3 الطور	701

منشورا (1)	﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾	13 الإسراء	701
منشرة (1)	﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً﴾	52 المدثر	701
يتلوا (7)	﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾	59 القصص	155
فاتلوها (1)	﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾	93 آل عمران	155
تلاوة (1)	﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾	121 البقرة	156
	أتلوا، يتلون، تتلى والمشتقات		156/155

المصدر الثاني: السنة النبوية.

السنة النبوية هي المصدر الثاني للحضارة الإسلامية من حيث أنها التطبيق والتفسير العملي للقرآن الكريم، وعليه فما من جانب حضاري في القرآن الكريم إلا وسنجد له تطبيقا وتفسيرا عمليا في السنة النبوية.

من أخطائنا في التعامل مع السنة النبوية أننا نحصر الاقتداء بها في بعض الجوانب فقط كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج ...والحقيقة أن السنة النبوية هي أسلوب الحياة الإسلامية في كل مجالات الحياة في العبادات والمعاملات والسياسة والاجتماع والاقتصاد والفتوى والاجتهاد والقضاء والجهاد ...ولهذا نجد الأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم مطلقا غير مقيد بجانب معين، كقوله تعالى:{لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة}[الأحزاب:21]. {واتبعوه لعلكم تهتدون}[الأعراف:158]. { وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[الحشر:7]. وغيرها من الآيات التي تحث على اتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في جميع هديه ومن ذلك الهدي الحضاري الذي يدخل في ركني الحضارة وهما الجانب المادي المدني للحضارة والجانب المعنوي الثقافي للحضارة.

ومما يؤكد على الاقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في الجانب الحضاري أن الحضارة الأولى وهي الأصيلة بناها وأسسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا فالحضارة الإسلامية لا تزدهر في جميع مجالاتها إلا إذا اقتدت بالأسوة الحسنة وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم في بناء الحضارة.

ويشبه هذا الخطأ في التعامل مع سنة النبي صلى الله عليه وسلم خطأ آخر في التعامل مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بحصرها فقط في الغزوات التي قادها رسول الله صلى الله وعيه وسلم، مع أن الغزوات ما هي إلا جزء من سيرته العطرة التي هي أعظم سيرة لإنسان، وهي جانب من جوانب حياته المباركة، ولهذا صار ذكر السيرة النبوية عند كثير من المسلمين يمثل هذا الجانب فقط وهو الغزوات. والحقيقة أن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي منهج حياة كامل متكامل، فكما نجد في السيرة النبي القائد نجد النبي العابد والعالم والمجتهد والمفتي والقاضي والأب والزوج والقريب والصهر والأخ والصديق ... ونجد الرسول الكريم والرحيم والخاشع والمتواضع

...وغير ذلك من سيرته العطرة التي جعلت النبي صلى الله عليه وسلم يحوز قصب السبق في جميع نواحي الخير.

وسيأتي الحديث عن معالم الحضارة الإسلامية في عهد النبوة في موضعه فنزيد هذا الموضوع بسطا.

المصدر الثالث: العقيدة الإسلامية.

تشتمل على ما يجب أن يصدق به المؤمن جازما به غير شاك فيه.

أولا: التوحيد: وهو إفراد الله تعالى بما اختص به في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وعدم الإشراك به في ذلك كله.

ولما كان انحراف الناس كثيرا في جانب الشرك في عبادة الله تعالى كان التركيز على توحيد الألوهية أكثر، وهو مضمون كلمة التوحيد العظيمة (لا إله إلا الله) التي معناها: لا معبود بحق إلا الله تعالى.

البعد الحضاري في التوحيد.

هو أن تكون أعمال الإنسان كلها لله تعالى يبتغي بها وجهه، وتكون موافقة لمرضاته ومراده. وليس ذلك في العبادات فقط بل يتجاوز ذلك إلى المعاملات، وفي كل المجالات وعلى كل الأحوال. وينتج هذا وحدة في المجتمع الحضاري ظاهرا وباطنا قلبا وقالبا، فتكون المقاصد واحدة، والأهداف واحدة، وإن اختلفت الأعمال والوظائف والإنجازات ... ما دامت تتعبد الله تعالى وحده بذلك. ولعل هذا من معاني قوله تعالى:{ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون }[الأنبياء: 92]. فتوحيد الله تعالى بعبادته طريق لوحدة الأمة.

ثانيا: أصول الإيمان الستة:

أصول الإيمان الستة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام: ما الإيمان؟ قال:((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)).[32]

1/ الإيمان بالله تعالى: ويتضمن الإيمان بوجوده، وألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

ومن أبعاده الحضارية:

1/ ملء الفراغ الروحي الذي تعاني منه الحضارة المادية الغربية وغيرها والتي مالت إلى الإلحاد بشعور أو بدون شعور.

2/ ملء الفراغ النفسي بحيث يشعر المؤمن بأن له ربا يجلب له ما ينفعه ويدفع عنه ما يضره.

3/ ملء الفراغ العملي بحيث يعتقد أن وقته ظرف زماني ينبغي أن يسخره في العمل الصالح الذي أمره الله تعالى به؛ لأنه سيسأله يوم القيامة عن عمره فيما أفناه وشبابه فيما أبلاه...

4/ ملء الفراغ الكوني بحيث يعتقد أن هذا الكون برمته يسير بتدبير الله الواحد القهار الذي ما شاء كان وإن لم يشأه العباد، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه العباد.

5/ ملء الفراغ المشاعري من جهة التعبد والتأله، فالإنسان بالفطرة يشعر بالحاجة إلى العبادة. ومن العبادات التي تملأ هذا الفراغ محبة الله تعالى. كما قال تعالى:{والذين آمنوا أشد حبا لله}[البقرة:165]. والجزاء من جنس العمل فكما أحبوا الله تعالى أحبهم سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل:{يحبهم ويحبونه}[المائدة:54].

([32]) رواه مسلم: 8. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

2/ الإيمان بالملائكة:

ويتضمن الإيمان بوجودهم وأسمائهم وصفاتهم ووظائفهم...

ومن أبعاده الحضارية:

1/ احترام الملائكة وتقديرهم كعدم دخول المسجد برائحة كريهة كرائحة الثوم والبصل لوجود الملائكة في المسجد. وهذا يعلمنا اجتناب ما تستنكف منه الطباع السليمة من الروائح الكريهة التي تنبعث من الإنسان لسبب من الأسباب خاصة في اجتماعات الناس ومجالسهم.

2/ القيام بالوظائف التي نحن عليها كما ينبغي اقتداء بالملائكة الأبرار الذي مدحهم الله تعالى في القرآن الكريم بأنهم يقومون بوظائفهم كما أمرهم الله تعالى:{يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون}[النحل: 50]، {لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون}[الأنبياء: 28]،{لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}[التحريم: 6].

3/ الإيمان بالكتب:

ويتضمن الإيمان بالكتب التي ذكرت بأسمائها تفصيلا، والإيمان بالكتب التي لم تذكر بأسمائها إجمالا، وأن الذي أنزلها هو الله تعالى، وأن القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى المتعبد بتلاوته هو آخر هذه الكتب، وأنه هو الحجة المطلقة والمعجزة العظمى على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه لا حكم إلا به، ولا تحاكم إلا إليه، وأنه الناسخ لجميع الكتب السابقة المهيمن عليها.

ومن أبعاده الحضارية:

1/ أن القرآن مصدر للحضارة من حيث بيان تاريخها ونشأتها وأسباب قوتها وأسباب زوالها، كما أنه اشتمل على كثير من علوم الحضارة وإنجازاتها وثقاتها ومدنيتها وخصائصها ...

2/ كما اشتمل على سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتغير مع الحضارات، وكيف تعامل معها الله تعالى؟ لنأخذ العبرة من ذلك فنعمل بما يرضيه ونجتنب ما يسخطه. فالقرآن بحق كتاب دين وحضارة.

3/ أن ندعو الناس إليه؛ ليعلموا صدق هذه الدعوة، وأنها من عند الله تعالى جاء يبلغها رسوله صلى الله عليه وسلم ومن بعده أتباعُه.

4/ الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام:

ويتضمن الإيمان بمن ذكر منهم بأسمائهم تفصيلا، والإيمان بمن لم يذكر باسمه منهم إجمالا، وأنهم مرسلون من عند الله تعالى، لا نفرق في الإيمان بين أحد منهم، إذ الكفر بواحد منهم كالكفر بجميعهم، وأن خاتمهم نبينا ورسولنا وسيدنا محمد عبد الله ورسوله وسيد ولد آدم أجمعين. وأنه هو الأسوة والقدوة للناس أجمعين منذ بُعث إلى قيام الساعة. فكل أبواب الجنة مسدودة في وجه هذه الأمة إلا من جهة باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل الطرق إلى الجنة مقطوعة في وجه هذه الأمة إلا من جهة طريق رسول الله وسنته وهديه صلى الله عليه وسلم.

ومن أبعاده الحضارية:

1/ ملء الفراغ في القدوة والأسوة، ففي الوقت الذي اقتدى الناس فيه بمن ظنوهم أنهم أسباب سعادتهم ونجاتهم من الفلاسفة والمفكرين في شتى العلوم ... فلم يحققوا لهم ما كانوا يصبون، ولم يهدوهم إلى ما كانوا يرجون... ففي ذلك الوقت وجد المؤمن ضالته في القدوة الحسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لم يترك شيئا يقرب من الجنة ويباعد عن النار إلا وقد بينه للناس أحسن بيان.{لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة}.[الأحزاب:12].

2/ صفات القائد الناجح الذي يقود أمته بالقرآن الكريم، مع رحمة منه ولين في موضعهما وشدة منه وحزم في موضعهما.

3/ كيف يستطيع القائد الناجح أن تتعدد وظائفه ومسؤولياته بين الإمامة العظمى والإمامة في الصلاة، وبين قائد الجيش ورب أسرة، وبين معلم ومفت وقاض وواعظ ومذكر وخطيب؟

4/ كيف يستطيع القائد أن يتعامل مع فئات رعيته على اختلاف أنواعها من علماء وفضلاء، وأقارب وجيران، وإخوان وأصدقاء، وزوجات وأولاد، وكبار وصغار، وفقراء وأغنياء، وضعفاء من ذوي الاحتياجات الخاصة، وغير المسلمين من أصحاب الملل ...؟

5/ الإيمان باليوم الآخر:

ويتضمن الإيمان بما بعد الموت من القبر وسؤاله ونعيمه وعذابه، وبالساعة وعلاماتها، والقيامة وأهوالها، وبالبعث والنشور والحشر والحساب والجزاء والميزان والصراط والجنة والنار...

ومن أبعاده الحضارية:

1/ أن المؤمن يعمل لما بعد الموت؛ لأن الدنيا وإن طالت حضارتها فهي فانية، وفي الآخرة الجزاء على كل الأعمال التي عملها العبد. لقد سبقت حضارات عظيمة منها ما بقيت آثارها الدالة على قوتها وهي اليوم أثر بعد عين. ولهذا فالحضارة الإسلامية لا تهمل الجانب الأخروي كما تهمله الحضارة المادية الغربية التي تقوم على النفع المادي العاجل.

2/ ومن الأبعاد الحضارية بعد الاحتساب أي أن المؤمن يعمل بدون مقابل مادي وإنما يحتسب ذلك عند الله تعالى وقد زخرت الحضارة الإسلامية بمثل ذلك كنظام الحسبة وهو نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان يقوم به ثلة من المؤمنين المحتسبين تأدية للواجب الكفائي الذي أوجبه الله علينا، وبدون مقابل كما في قوله تعالى:{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}[آل عمران: 104].

كما يظهر الاحتساب في نظام حضاري آخر وهو نظام الوقف الذي يجعل صاحبه منفعة الوقف كالمسجد أو المدرسة أو المصحف أو البئر أو الأشجار المثمرة ...في سبيل الله تعالى ينتفع بها من ينتفع بدون مقابل. {إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا}[الإنسان: 9].

6/ الإيمان بالقدر خيره وشره:

ويتضمن أن الله على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه كتب كل شيء وأحصاه وحفظه في اللوح المحفوظ.

ومن أبعاده الحضارية:

1/ التوكل على الله تعالى مع الأخذ بالأسباب الشرعية، وعدم التواكل وهو ترك الأسباب الشرعية والاعتماد على الرجاء، مع أن الله تعالى قال:{ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا}[الكهف:110]. ولم يقل: فمن كان يرجو لقاء ربه فليرج، وإنما قال: فليعمل.

2/ الطمأنينة في الدنيا وعدم طلبها بالوسائل المحرمة، وعدم التطلع إلى ما عند الناس، وعدم الحسد؛ لأن الآجال قد أجلت، والأرزاق قد قسمت وأن العبد لا يموت حتى يستكمل نصيبه من الرزق والأجل.

3/ عدم الاغترار بالنفس وقوتها وعلمها ونفوذها وسلطانها وملكها؛ لأن هذا في حق الإنسان محدود، والقوة المطلقة والعلم الكامل والنفوذ والسلطان والملك التام لله تعالى. وفي قصة فرعون وهامان وقارون عبرة لمن يعتبر، فهؤلاء اغتروا وطغوا وبغوا ... فرعون بملكه، وهامان بوزارته، وقارون بثروته فهلكوا جميعا. وبقي الله مالك الملك القدير العليم. بل إن هذا الأمر كما ينطبق على الأفراد ينطبق على الجماعات والأمم والحضارات ولنا عبرة فيما قصه الله علينا من قصص هؤلاء،

كقوله تعالى:{ ألم تر كيف فعل ربك بعاد () إِرَمَ ذات العماد () التي لم يخلق مثلها في البلاد () وثمود الذين جابوا الصخر بالواد () وفرعون ذي الأوتاد () الذين طغوا في البلاد () فأكثروا فيها الفساد () فصب عليهم ربك سوط عذاب () إن ربك لبالمرصاد}[6-14].

4/ حسن الظن بالله تعالى فيما يقدره الله تعالى على العبد وعدم الجزع والتسخط والتذمر. فلا بد على المؤمن المتحضر أن يكون إيجابيا حتى في الأقدار التي لا تلائمه. فلا بد أن لا تخور عزيمته، وتضعف قوته في عثرة من العثرات، أو نكسة من النكسات، ولعله خير وهو لا يدري، كما قال تعالى:{ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون}[البقرة: 216]. فقد يستفيد المؤمن المتحضر بعقيدة القضاء والقدر من القدر الذي ظاهره شر وباطنه خير لما يعقبه وينتج عنه من فوائد.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنب فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)).[33]

وفي هذا الحديث أبعاد حضارية تتعلق بعقيدة القضاء والقدر:

([33]) رواه مسلم: 2664. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أ/ المؤمن القوي في بدنه وإيمانه وإرادته وعزيمته، خير من المؤمن الضعيف في بدنه وإيمانه وإرادته وعزيمته، وفي كل منهما خير باعتبار اشتراكهما في الإيمان.

ب/ المؤمن دائما يحرص على المنافع في دينه ودنياه وآخرته، وعلى ما يعود بالمنافع على غيره كأهله وأولاده وأرحامه وجيرانه ... وأمته جمعاء.

ج/ إذا أصاب المؤمنَ شيء يراه شرا له فلا ينبغي أن يثني عزيمته، ولا يفتح على نفسه باب التمني(لو) بل ينبغي أن يسلم الأمر لله ويحسن الظن به بأن هذا الأمر عسى أن يكون فيه خير وهو لا يدري.

5/ استحضار علم الله تعالى بكل شيء في جميع أحوال الإنسان مما يدفعه إلى الإحسان الذي هو استحضار مراقبة الله تعالى في كل الأحوال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم –لما سأله جبريل عليه السلام: ما الإحسان؟–: ((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).[34] كما يدعوه الإحسان إلى إتقان عمله والقيام بمسؤوليته على أحسن الوجوه ما استطاع، وعلى إضمار الخير في باطن النفس ونية الخير في القلب، وحمل أحوال الناس في التعامل معهم على الظاهر وترك بواطنهم لله تعالى الذي{يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور}[غافر:19].

6/ الشجاعة في الحق من غير تهور، وعدم الجبن والخوف في خوض المصاعب في الحياة، لأن عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره تُعلِّم المؤمن أن الإحجام لا يطيل العمر، وأن الإقدام لا يقصره.

7/ شكر الله تعالى على الأقدار التي فيها خير، والصبر لله تعالى على الأقدار التي فيها شر، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له))[رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه]. وانتقال الإنسان بين مقام الشكر ومقام الصبر يجعلانه دائما إيجابيا عاملا منتجا.

([34]) رواه مسلم:8. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

المحاضرة الرابعة ((04)):

مصادر الحضارة الإسلامية

[الجزء الثاني]

يرتكز الدرس على عناصر متمثلة أساسا فيما يلي:

- مكانة الإنسان وعلاقته بالكون في ظل العقيدة الإسلامية.
- دور العقل في العقيدة.

المصدر الرابع: الشريعة الإسلامية.

المصدر الخامس: الأخلاق الإسلامية.

- الحكمة في ارتباط الخُلق بالعبادة.
- من خصائص الأخلاق الإسلامية:

المصدر السادس: اللغة العربية وآدابها.

- أهمية اللغة من الناحية الحضارية عموما.
- اللغة العربية وآدابها من مصادر الحضارة الإسلامية.

مكانة الإنسان وعلاقته بالكون في ظل العقيدة الإسلامية:

1/ الإنسان لم يخلقه الله تعالى عبثا {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا}[المؤمنون:115]، بل كرمه وحدد له هدفا ساميا يجب أن يسعى إلى تحقيقه بالطرق التي ترضي الله تعالى وهو توحيد الله تعالى بالعبادة:{ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }[الذاريات: 56]. وسخر الله تعالى له في هذا الكون ما يعينه على تحقيق هذا الهدف:{ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون() وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}[الجاثية: 12-13].

2/ الإنسان هو عبد الله المصطفى لعمارة هذا الكون، وخليفة الله تعالى في الأرض بمعنى مستخلف من الله تعالى لعمارة الأرض بالخير المادي والمعنوي مع ابتغاء الدار والآخرة والتزود لها، وعدم نسيان الحظوظ الدنيوية التي أباحها الله تعالى له. ومع إحسان التعامل مع الله تعالى ومع عباده، وعدم الفساد في الأرض بالمعاصي والمنكرات، قال الله تعالى:{وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك وتبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين}[القصص:77].

3/ الإنسان كرمه الله تعالى كما قال:{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا}[الإسراء:70]، فهو ليس حقيرا كما تقول الهندوسية وغيرها، وليس الإنسان سيد هذا الكون كما تقول المذاهب المادية واللادينية، وإنما هو سيد في هذا الكون وعبد لله تعالى فيه، فالسيد السيادة المطلقة هو الله تعالى، وقد أكرم الله السيد عبده الإنسان بأن جعل له سيادة في الأرض؛ ليقوم بمهام الاستخلاف في عمارة الأرض.

4/ خلق الله تعالى الإنسان وأعانه على مهمة القيام بالاسخلاف؛ بأن فطره على الإسلام وأرسل إليه الرسل بالرسالات عندما تتبدل فطرته، وجعله مختارا في الأمور الشرعية، وجعله فيها مسؤولا مثابا على إحسانه معاقبا على إساءته. ولو جعل الله تعالى الإنسان مجبرا في الأمور الشرعية لما كان مسؤولا مثابا معاقبا. قال الله تعالى:{فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}[الزلزلة:7-8].

5/ فالإنسان هو المسؤول الأول عن صناعة الحضارة، وهو المحرك الأول للحضارة في مرحلة نموها واستمرارها وازدهارها، وفي مرحلة أفولها أيضا.

6/ الإنسان في هذا الكون خلقه الله تعالى حرا الحرية الإيجابية التي تجعل الإنسان يسعى في الخير دائما مراعيا حقوق من حوله من غير أن يتعدى عليها، أما الحرية السلبية التي لا ضابط لها ولا مرشد، التي لا تراعي حقوق من حوله فالله تعالى لم يبحها للإنسان لأنها فساد في الأرض والله تعالى لا يحب الفساد.

7/ لله تعالى سنن كونية هي فوق قدرة الإنسان وطاقته، لا يتحكم فيها ولا يسيرها إلا الله فينبغي على الإنسان أن يجري على وفقها ويسير على نظامها؛ لأن الجري على ضدها والسير على خلافها جهل وظلم.{فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا}[فاطر:43].

8/ لا تنتهي حياة الإنسان بانتهائه أو بانتهاء الكون (القيامة الكبرى)، بل هناك حياة أخروية هي دار الحساب على الأعمال والجزاء عليها. فنظرة الإنسان إلى الكون ليست محدودة بعالم الشهادة بل هي ممتدة موصولة بعالم الغيب الذي يؤمن به المؤمن ولم يشاهده الآن.

9/ النظرة إلى الكون والتفكر فيه مقرونان دائما بخالق الكون {الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل() له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون}[الزمر: 62-63]. وكل ما في هذا الكون دليل على وحدانية الله تعالى وعلى كمال قدرته وسعة علمه وقهره وجيروته.

في كلِّ شيءٍ له آيةٌ () تدل على أنه واحدُ.

وهذا يدفع الإنسان إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له محبة وتذللا. كما قال تعالى:{ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار...}[آل عمران:].

دور العقل في العقيدة:

1/ المجال المغلق لإعمال العقل فيه هو مجال الغيبيات فإعمال العقل في هذا المجال مخالفة للشرع وضلال في الفكر وإهدار لطاقة العقل. قال الله تعالى:{قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون}[النمل:65]، { عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول...}[الجن: 26-27]. وقال صلى الله عليه وسلم: ((تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله عز وجل))[35]. أما التفكر في الكون المنظور أو في الوحي المسطور أو في النفس البشرية ... فهذا مرغب فيه في آيات كثيرة. وهذا التفكر وسيلة من وسائل معرفة الله وأسمائه وصفاته ودينه وشرعه...

2/ لقد أعطى الإسلام أهمية للعقل لما يتعلق به من الأحكام، ويترتب على إعماله من مصالح، ولكن مع التقيد بحدود الشرع؛ كالتفسير بالرأي فيما للرأي فيه مجال، والاجتهاد في الفقه باستعمال المعقول في الترجيح، واستنباط حكمة التشريع من العبادات المعقولة المعنى...

المصدر الرابع: الشريعة الإسلامية.

الحضارة الإسلامية بركنيها المادي والمعنوي تتوافق مع الشريعة الإسلامية في أحكامها تأتمر بأوامرها وتنتهي بنواهيها وهذا في كل مجالاتها:

1/ السياسية كاختيار الخليفة أو تعيين الوزير أو تكليف القاضي .... أو السياسة الخارجية كالمعاهدات والمواثيق ...

2/ العسكرية كالجهاد في سبيل الله تعالى والفيء والغنائم ...

3/ الاجتماعية: كالزواج والطلاق والوصايا والميراث والأوقاف...

4/ الاقتصادية: كالتجارة الداخلية والخارجية والبيوع والنقود ... والصناعة والزراعة...

5/ العلمية: كالعلوم والكتب والمكتبات والتعليم ...

6/ القضاء: كالحدود والقصاص والتعازير.

([35]) انظر: السلسلة الصحيحة:1788.

تنبيه: لا تلازم بين التزام الحضارة الإسلامية الشريعة الإسلامية، وبين الأخطاء والمخالفات التي تقع في واقع الحضارة الإسلامية، فهذه الأخطاء والمخالفات تنسب إلى مرتكبيها الفاعلين لها، ولا تنسب إلى الشريعة الإسلامية التي هي بريئة منها.

تنبيه آخر: إذا وقع عالم مجتهد في خطأ يتعلق بجانب من جوانب الحضارة فإن هذا المجتهد مأجور شرعا، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)).[36] والخطأ يُنسب إليه لا إلى الشريعة الإسلامية ولا إلى الحضارة الإسلامية.

المصدر الخامس: الأخلاق الإسلامية.

1/ أهمية الأخلاق ومكانتها في الإسلام لا تخفيان، والقرآن والسنة فيهما من النصوص على فضل الأخلاق الحسنة والترغيب فيها، وذم الأخلاق السيئة والترهيب منها الشيء الكثير.

2/ ومما يؤكد على أهمية الأخلاق مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله:{وإنك لعلى خلق عظيم}[القلم:4]. وخلق النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن، كما وصفته بذلك زوجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. وجوهر بعثته صلى الله عليه وسلم هو إتمام مكارم الأخلاق وصالحها.

لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إنما بعثت لأتمم مكارم –وفي رواية:"صالح"– الأخلاق)).[37]

3/ الأخلاق في الإسلام تقوم على الإيمان والدين والتقوى، وإلا فهي مظاهر ومن ورائها مصالح.

كما تقوم الأخلاق في الإسلام على العلم فلا أخلاق إلا بعلم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك أن الأخلاق تطلب من الله تعالى بالدعاء كما كان يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)).[38] وكان يقول: ((اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي)).[39] ويدخل في العلم

([36]) رواه البخاري:7352، ومسلم: 1716. عن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

([37]) انظر: [الصحيحة:45].

([38]) روا مسلم:2722. عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

([39]) رواه أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

بالأخلاق العلم بأنواعها كالخلق مع الله تعالى، والخلق مع النفس، والخلق مع الناس، كما دل على هذه الأنواع قوله صلى الله عليه وسلم: ((اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)).[40]

أ/ قوله: ((اتق الله حيثما كنت)): الخلق مع الله تعالى. وأصله تقوى الله تعالى.

ب/ قوله: ((وأتبع السيئة الحسنة تمحها)): الخلق مع النفس، وأصله إنقاذ النفس من النار، وذلك بالتوبة من الذنب، و((التائب من الذنب كمن لا ذنب له)).[41]

ج/ قوله: ((وخالق الناس بخلق حسن)): الخلق مع الناس، وأصله الإحسان إليهم بأنواع الإحسان.

ويدخل تحت قوله ((وخالق الناس)): خالق النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة، والعلماء، والوالدين، والزوجة، والأولاد، والأرحام، والأصهار، والجيران، والإخوان، الصغار، والكبار، والضعفاء، والفقراء، والمساكين، واليتامى والأرامل والمحتاجين ...والكفار...((بخلق حسن)).

4/ الارتباط بين العلم والأخلاق: الأخلاق ثمرة العلم النافع ، قال علي رضي الله عنه:"هتف العلم للعمل فإن أجابه وإلا ارتحل" . قال شاعر النيل حافظ إبراهيم:

لا تحسبن العلم ينفع وحده () مالم يتوج ربه بخلاق.

وعلم بلا أخلاق تشويه للعلم، وهو كالعسل مع الخل.

5/ ارتباط الأخلاق بالعبادة: وهذا الارتباط مهم، نلاحظه في عبادات كثيرة كإقام الصلاة التي من أخلاقها أنها تنهى عن الفحشاء. كما قال تعالى:{وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر}[العنكبوت:45].

ونجد في الصيام أنه يثمر خلق التقوى، كما قال تعالى:{ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}[البقرة:183]. ونجد في إيتاء الزكاة خلق عدم المن والأذى، كما قال تعالى:{ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى }[

([40]) رواه الترمذي عن أبي ذر الغفاري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما.

([41]) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

البقرة:264]، ونجد في الحج خلق عدم الرفث (الكلام الفاحش) والفسوق والجدال المذموم، كما قال تعالى:{ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج}[البقرة:197].

الحكمة في ارتباط الخلق بالعبادة.

أ/ أن هذا الخلق يثبِّت العبد على المواصلة في عبادة الله تعالى لما يحصل له من زيادة في الإيمان الذي يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولهذا الذي يأتي بالعبادة دون أخلاقها ناقص الإيمان وهذا يفضي إلى الانقطاع عنها.

ب/ أن بعض الأخلاق تركية وقد يترتب على عدم تركها بطلان العبادة كالمن والأذى في الصدقة والزكاة، وقول الزور والعمل به في الصيام. كما قال النبي صلى الله عله وسلم: ((من لم يدَعْ قولَ الزورِ والعملَ به فليس لله حاجةٌ في أن يدعَ طعامَه وشرابَه)).[42]

ج/ تشويه الصورة الجميلة للعبادة عندما تفصل عن أخلاقها وهذا مظهر من مظاهر التناقض الديني والأخلاقي الذي نقع فيه خاصة إذا صدر من معروف بالعلم والفضل والصلاح، أو صدر من مسلم مع غير مسلم.

6/ الأخلاق في الإسلام مسؤولية أو أمانة تحملها الإنسان وسيجزى على هذه المسؤولية أو الأمانة حفظ أم ضيع.

7/ من الفروق بين الأخلاق الإسلامية وغيرها:

أ/ النية، أي: الباعث الداخلي. وهو قصد وجه الله تعالى. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...)).[43]

ب/ الدافع، أي: الهدف والغاية. كرحمة اليتيم بالمسح على رأسه: ((إن أردت تليين قلبك فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم)).[44]

ويقابل هذين الفرْقين في الأخلاق غير الإسلامية: المنفعة والمصلحة والاستغلال والغش والخداع...

([42]) رواه البخاري:1903. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

([43]) رواه البخاري: 1، ومسلم: 1907. عن عمر رضي الله عنها.

([44]) انظر: السلسلة الصحيحة:854.

من خصائص الأخلاق الإسلامية:

زيادة على ما أشرنا إليه سالفا من خصائص الأخلاق الإسلامية نذكر خصائص أخرى تكملة للمقصود، مع التنبيه إلى أن هذه الخصائص كثيرة وما ذكرناه لا يحصرها.

1/ ربانية المصدر.

ذلك أن أخلاقنا مستمدة من الكتاب والسنة المطهرة، قال الله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءايَـٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ} [آل عمران:164]. ولا مدخل فيها للآراء البشرية، أو النظم الوضعية، أو الأفكار الفلسفية. ولذا اتسمت الأخلاق الإسلامية بسمة الخلود والصدق والصحة.

2/ الشمول والعموم.

من خصائص الأخلاق الإسلامية: أنها شاملة، ومتكاملة، وهي خاصية منبثقة من الخاصية الأولى، وهي الربانية، وذلك لأنها تراعي الإنسان، والمجتمع الذي يعيش فيه، وأهداف حياته طبقا للتصور الإسلامي، تحدد أهداف الحياة وغايتها وما وراءها، وتشمل كافة مناشط الإنسان وتوجهاته، وتستوعب حياته كلها من جميع جوانبها، ثم هي أيضًا لا تقف عند حدِّ الحياة الدنيا.

فهي تشمل أفعال الإنسان الخاصة بنفسه أو المتعلقة بغيره، سواء كان الغير فردا أو جماعة أو دولة، وسواء كان مسلما أو كافرا، وسواء كان ذلك في المجال الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي.

3/ لزومها في الوسائل والغايات.

إن الالتزام بمقتضى الأخلاق مطلوب في الوسائل والغايات، فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة المذمومة، ولا العكس.

4/ الواقعية والمثالية.

إن التربية الإسلامية تتعامل مع الواقع المحسوس والملموس في حياة الإنسان، فهي تحدِّثه بمجريات الأحداث في حياته الدنيا، ولا تذهب به إلى عالم الخيال والمتاهات، بل تعامله وتطلب منه على قدر طاقته، مراعية حاجاته وغرائزه وضعفه، قال تعالى: {لاَ يُكَلّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} [البقرة:286].

5/ التوسط والاعتدال.

تمتاز الأخلاق الإسلامية بالوسطية والاعتدال، فلا غلوَّ ولا جنوح، بل توازن واعتدال في كل الأمور الدينية والدنيوية. قال الله تعالى: {وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة:143].

6/ الأخلاق الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

لما كانت الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، كانت صالحة لجميع الناس في كلِّ زمان، وفي أيِّ مكان، نظرًا لما تتميز به من خصائص، فلا يطرأ عليها أي تغيير أو تبديل بسبب تغير الظروف والأزمان؛ لأنها ليست نتاجًا بشريًّا، بل هي وحي من الله تعالى لنبيه.

7/ الإقناع العقلي والوجداني.

تشريعات الإسلام توافق العقول الصحيحة، وتتوائم مع الفطر السليمة، وتحصل القناعة الكاملة والانسجام التام مع ما أتت به الشريعة الإسلامية من نظم أخلاقية.

فالأخلاق الإسلامية بها يقنع العقل السليم، ويرضى بها القلب، فيجد الإنسان ارتياحًا واطمئنانًا تجاه الحسن من الأخلاق، ويجد نفرة وقلقًا تجاه السيئ من الأخلاق.

8/ المسؤولية.

الأخلاق الإسلامية تجعل الإنسان مسؤولًا عما يصدر منه في كلِّ جوانب الحياة، سواء كانت هذه المسؤولية مسؤولية شخصية، أم مسؤولية جماعية، ولا تجعله اتكاليًّا لا يأبه بما يدور حوله من أشياء، وهذه خاصية من خصائص أخلاقنا انفردت بها الشريعة الغراء.

ونعني بالمسؤولية الشخصية: أن الإنسان مسؤول عما يصدر منه عن نفسه إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر، وفي هذا الصدد يقول الله تعالى:{كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [الطور:21].

9/ العبرة بالظاهر والباطن من الأعمال معًا.

أخلاقنا الإسلامية لا تكتفي بالظاهر من الأعمال، ولا تحكم عليه بالخير والشر بمقتضى الظاهر فقط، بل يمتدُّ الحكم ليشمل النوايا والمقاصد، وهي أمور باطنية، فالعبرة إذًا بالنية، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى))،... والنية هي مدار التكليف، وعلى ذلك فالإسلام يراعي نية الإنسان في الحكم على عمله الظاهر.

10/ الرقابة الدينية.

الرقابة: تعني مراقبة المسلم لجانب مولاه سبحانه في جميع أمور الحياة.

وعلى هذا فإنَّ الرقابة في أخلاقنا الإسلامية لها مدلولها المستقلُّ والمختلف عن الرقابة في مصادر الأخلاق الأخرى، حيث تكون رقابة خارجية من الغير تتمثل في رقابة السلطة، والأفراد.

أما الرقابة في الإسلام فهي رقابة ذاتية في المقام الأول، وهي رقابة نابعة من التربية الإسلامية الصحيحة، ومن إيقاظ الضمير، فإذا كان المسلم يعلم أنَّ الله معه، وأنَّه مطلع على حركاته وسكناته، فإنَّه يكون رقيبًا على نفسه، ولا يحتاج إلى رقابة الغير عليه، يقول تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: 4]، ويقول سبحانه: {يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}[طه: 7] ، ويقول عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

المصدر السادس: اللغة العربية وآدابها:

أهمية اللغة من الناحية الحضارية عموما.

اللغة أعظم إنجاز بشري على ظهر الأرض، ولولا اللغة ما قامت للإنسان حضارة ولا نشأت مدنية ولقد وقر في أذهان الناس منذ القديم تقديس اللغة وإعظام شأنها، وبلغت القداسة عند الشعوب البدائية، أن ارتبطت اللغة عندهم بتأثير اللفظ وسحر الكلمة، واختلط الاسم بالمسمى، في عقيدة هذه الأقوام.[45]

اللغة من أعرق مظاهر الحضارة الإنسانية، بل هي أصل الحضارة وصانعة الرقي والتقدم، فهي التي تؤلف الحد الفاصل بين شعب وشعب وبين أمة وأمة، بل بين حضارة وحضارة؛ لأن الأفراد الذين يتكلمون لغة واحدة، لا يتفاهمون بيسر وسهولة فحسب، وإنما هم قادرون على أن يؤلفوا مجتمعا إنسانيا موحدا متجانسا؛ لأن اللغة هي قوام الحياة الروحية والفكرية والمادية، بها يعمق الإنسان صلته وأصالته في المجتمع الذي يولد فيه، حيث تخلق اللغة من أفراده أمه متماسكة الأصول موحدة الفروع.[46]

([45]) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. رمضان عبد التواب. ط/3. 1417هـ - 1997م. الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة. (ص/3).

([46]) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. محمود السعران. ط/2. 1997. الناشر: دار الفكر العربي. القاهرة. (ص/5).

اللغة العربية وآدابها من مصادر الحضارة الإسلامية.[47]

إن اللغة العربية لغة متفردة من بين لغات العالم؛ فلا تدانيها لغة أخرى في أصالتها ومرونتها وقدرتها وثرائها...وفي دراسة امتدت عشر سنوات قام بها أحد علماء (فقه اللغة ومقارنة اللغات) من الفرنْسيين والتي أراد فيها أن يعرف: هل كان من الممكن أن يتنزل القرآن بلغة غير العربية؟ وهل بإمكان لغة أخرى أن تسع كتاب الله المعجز ألفاظاً ومضامين وغايات...؟ وقد انتهى من دراسته إلى استحالة ذلك... فأعلن إسلامه.

إن العربية لغة دولية علمية دينية دنيوية... يتكلم بها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ويعبرون بها عن أحاسيسهم وآدابهم، ويتعلمون بها معارف غيرهم، ويدونون بها أفكارهم وعلومهم، وهي أداة سليمة ودقيقة للتعبير العلمي والفني، وقد كان من عبقريتها – يوم كان لها رجال – أنها استوعبت الحضارة الإنسانية والإسلامية، وقام علماؤها بترجمة معارف البشرية إليها؛ من اليونان والهنود وغيرهم، وعنها نقلت الحضارات والثقافات الإنسانية والإسلامية إلى الشعوب الأخرى، ومنها الشعوب الأوربية؛ فترجم ما حوته العربية من علم ومعرفة وثقافة وآداب إلى العالم كله.

هذا... مع ملاحظة أن العرب – ومن تعرب من الأجناس الإسلامية الأخرى – ما تركوا علما معاشيا تطبيقيا ولا إنسانيا إلا وكانت لهم فيه جهود بارزة.

ويتصل باللغة العربية الخط العربي الذي أخذ شأنه في الازدياد منذ ظهور الإسلام؛ إذ صار انتشار الخط العربي مصاحباً لانتشار اللغة العربية بل زاد عليها حين صار يكتب به لغات غير عربية مثل الفارسية والأردية والتركية.

وقد عني بالخط العربي منذ ظهور الإسلام عناية موضوعية من حيث التوضيح؛ عن طريق ابتكار علامات الإعراب والإعجام، ومن حيث التجويد، ومن حيث ابتكار النسب الجميلة في كتابة الحروف والكلمات وتنسيق الجمل.

وكان الخط العربي – مثله مثل اللغة العربية – وسيلة التعبير عن الحضارة الإسلامية، وعاملاً مهما في توحيدها الثقافي والحضاري.

([47]) الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس (ص/51-56).

وعندما امتدت فتوح العرب والإسلام بين الهند شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، وبين بحر قزوين شمالاً وبلاد النوبة جنوباً، ثم انتشر الإسلام بعد ذلك فدخل إسبانيا وأجزاء من أوربا وجزر البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى وأرمينية وبلاد البلقان، كما انتشر شمال بحر قزوين ودخل الهند وما وراءها وتوغل في إفريقية، سارت العربية – لعدة قرون – مع الإسلام حيثما سار، ولولا أخطاء بعض العرب العنصريين لا نضوت تحت لواء الإسلام شعوب كثيرة كان لمعظمها ماضٍ حضاري تليد كالفرس والهنود وغيرهم.

وقد عرفت اللغة العربية بأنها اللغة الشاعرة لطبيعتها الموسيقية والفنية، كما عرفت بأنها لغة الشعر والنثر والقصص والأمثال والحكم والخطابة، وكانت الأسواق – كعكاظ – مجال تنافس في كل هذه المجالات الأدبية.

ولعل وصول العرب إلى هذا المستوى الشعري الذي تمثله مرحلة المعلقات السبع، كافٍ في الدلالة على النبوغ العربي في فن الشعر.

يقول المستشرق الأستاذ (نولدكه): ((إنا ليتملكنا الإعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم، إذا ذكرنا مقدار بساطة الحياة العربية وشؤونها، وتوحد مناظر بلادهم، واطرادها اطرادا يدعو إلى السآمة والملل، وهذا يستتبع – حتما – ضيق دائرة التفكير، ولكنهم في داخل الدائرة الضيقة وضعوا لكل تغير – وإن قل – كلمة تدل عليه، ويجب أن نقر بأن معاجم اللغة العربية قد تضخمت كثيرا بكلمات استعملها الشعراء وصفا لأشياء؛ فذكرها اللغويون على أنها أسماء لتلك الأشياء.

ولكن رغماً عن هذا كله يجب أن نعترف بأن معجم اللغة العربية غني غنىً رائعا، وسيبقى دائماً مرجعا هاما لتوضيح ما غمض من التعبيرات في جميع اللغات السامية الأخرى.

وليست اللغة العربية غنية بكلماتها فحسب، بل بقواعد نحوها وصرفها أيضاً، فجموع التكسير – وأحيانا أسماء الأفعال – كثيرة زائدة عن الحاجة)).

ولا يؤخذ على اللغة العربية أنها كانت تدور في فلك البيئة المحيطة بها، شعرا أو نثرا؛ فذلك شيء طبيعي، بدليل أنها عندما خرج بها الإسلام إلى العالم الخارجي وانفتحت على حضارتي الروم وفارس وغيرهما، وترجمت العلوم المختلفة، وعَرَّب عبد الملك بن مروان الدواوين؛ نجحت في كل

ذلك نجاحاً باهراً، وأصبحت لغة عالمية يشكو رجال الكنيسة في الأندلس من أنها لغة الثقافة والعلم والحضارة التي يفتتن بها المثقفون النصارى واليهود والتي قضت على اللغة اللاتينية.

ومع هذه العالمية التي حققتها اللغة العربية – كركن أساسي من أركان الحضارة الإسلامية – ومع ما حققته علومها وفنونها من مستوى رفيع، ومن انتشار كبير إلا أن هذا لا يعني أنها كانت منغلقة فلم تتفاعل مع اللغات والآداب الأخرى، لاسيما اللغات الإسلامية كالفارسية والأوردية والتركية، والتي دخل أبناؤها في الإسلام، وتعربوا فأصبحوا عرباً بمقياس الإسلام؛ إذ العروبة القرآنية هي عروبة الفكر واللسان والعقل والوجدان، وأصبحت أعداد هؤلاء المتعربين، في مجالات الإبداع، أكثر من أعداد العرب؛ ومع أن طبيعة الإسلام والحضارة الإسلامية ألاَّ يرغم أحد على ترك دينه أولغته، فقد اختاروا هم (العربية) لاعتبارات تتصل بالإسلام من جانب، وباللغة العربية ذات الغزارة والقوة والسهولة في الوصول إلى التعبيرات الدقيقة من جانب آخر.

وسنعود إلى هذا المصدر المهم من مصادر الحضارة الإسلامية عندما نبين قنوات انتقال الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الأوربية؛ لأن اللغة العربية كانت إحدى هذه القنوات.

المحاضرة الخامسة ((05)):

خصائص الحضارة الإسلامية

[الجزء الأول]

- أهداف المحاضرة الخامسة.
- أهم مراجع المحاضرة الخامسة.

– الخاصية الأولى: الحضارة الإسلامية حضارة توحيد لله تعالى.

– الخاصية الثانية: الحضارة الإسلامية حضارة عالمية.

من مظاهر عالمية الحضارة الإسلامية:

– الخاصية الثالثة: الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية.

– الخاصية الرابعة: الحضارة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

– الخاصية الخامسة: الحضارة الإسلامية حضارة متطورة.

تجديد الدين.

– الخاصية السادسة: الحضارة الإسلامية حضارة علم.

أ) فضل العلم وأهله، والترغيب فيه.

ب) لفظ (العلم) في القرآن الكريم.

ج) العلم قسمان: العلم الديني، العلم الدنيوي.

د) الدين حاكم على العلوم.

هـ) في الحضارة الإسلامية العلم: إلهي المبدأ، إلهي الوسيلة، إلهي الغاية.

ز) لا تعارض بين الدين وبين العقل في الحضارة الإسلامية. ومقارنة ذلك بموقف المسيحية المحرفة في العصور الوسطى.

ح) العلم في الحضارة الإسلامية حق الجميع.

أهداف المحاضرة الخامسة:

1/ التعريف بمجموعة من خصائص الحضارة الإسلامية التي جعلتها تتميز بها عن غيرها من الحضارات السابقة واللاحقة.

2/ بيان أنها حضارة توحيد لله تعالى.

3/ بيان أنها حضارة علمية.

4/ بيان أنها حضارة إنسانية.

5/ بيان أنها حضارة صالحة لكل زمان ومكان.

6/ بيان أنها حضارة متطورة.

7/ بيان أنها حضارة علم.

8/ بيان أنها حضارة المزج بين المادة والروح.

9/ بيان أنها حضارة أمانة.

10/ بيان أنها حضارة عدل.

11/ بيان أنها حضارة أخلاق وقيم.

12/ بيان أنها حضارة وسطية واتزان.

أهم مراجع المحاضرة الخامسة:

1/ الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل.عبد الحليم عويس. ط/1. 1431هـ/2010م. الصحوة للنشر والتوزيع. (ص20). خصائص الحضارة الإسلامية.

2/ الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. توفيق يوسف الواعي. ط/1. 1408هـ/1988م. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. (ص/463). خصائص الحضارة الإسلامية وأهدافها.

3/ فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية. عز الدين فراج. ط/بدون. 1423هـ-2002م. دار الفكر العربي للطبع والنشر. القاهرة.

4/ ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ط/2. 1430هـ-2009م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. (ص/49). خصائص الحضارة الإسلامية.

5/ مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية. شحادة الناطور. احمد عودات. جميل بيضون. ط/1. 1989م. دار الأمل للنشر والتوزيع. إربد. (ص/273). مميزات الحضارة الإسلامية.

6/ منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. نصر الدين مصباح القاضي. ط/1. 1424هـ-2002م. دار الفكر للطبع والنشر. القاهرة. (ص/105). خصائص الحضارة الإسلامية.

7/ خيانة الأمانة في تاريخ الحضارة الإسلامي. (دراسة تاريخية قانونية). عبد الله سعدون الشمري. جامعة سانت آلمنتس العالمية. فلسفة في التاريخ الحضارة الإسلامية. أطروحة قدمت إلى جامعة سانت آليمنتس العالمية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه. بغداد.1431هـ-2010م.(ص/46-52).

8/ مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا. المؤلف: مصطفى بن حسني السباعي (المتوفى: 1384هـ). ط/1. 1420 هـ - 1999 م. الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي.

9/ معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة. الآثار والعمران والفنون. عثمان عثمان إسماعيل. (ص/64-66).

10/ القيم الحضارية في السنة النبوية. عيسى بن عوض العُضيَّاني.

11/ خصائص الحضارتين الإسلامية والغربية . دراسة في الحوار الحضاري .أطروحة تقدم بها رعد سليمان حسين الجبوري .إلى مجلس كلية أصول الدين/ الجامعة الإسلامية. وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة أصول الدين/ تخصص فكر إسلامي .1427هـ-2007م.

تمهيد:

إن الحضارة الإسلامية لها مميزات تميزها عن غيرها من الحضارات، لا يشاركها فيها غيرها من الحضارات الأخرى. فإذا وجدنا اشتراكا في بعض الخصائص فهو غير مطلق وإنما هو نسبي، كخاصية العلم، فالحضارة الإسلامية حضارة علم، وكذلك غيرها من الحضارات، ولكن نظرة الحضارة الإسلامية إلى العلم مختلفة عن نظرة غيرها إليه من الحضارات، فلهذا تميزت.

"وإذا كانت حضارة الإغريق اتسمت بتمجيد العقل، واتسمت حضارة الرومان بتمجيد القوة وبسط النفوذ، واتسمت حضارة الفرس بالاهتمام بملذات الجسد والقوة الحربية والسطوة السياسية، واتسمت الحضارة الهندية بالاعتداد بالقوة الروحانية، ولا هي تقام أسسها على المادية الطاغية، وهيمنة التكنولوجيا الصناعية، كما هي عليه الآن الحضارة الغربية سليلة الحضارتين اليونانية والرومانية ... فإن للحضارة الإسلامية سماتها وخصائصها المميزة التي تتفرد بها بين الحضارات السابقة لها واللاحقة عليها..."[48]

وخصائص الحضارة الإسلامية كثيرة، وما سنذكره هو أهمها، مع ملاحظة وجود تداخل واشتراك بين بعض الخصائص والمميزات:

الخاصية الأولى: الحضارة الإسلامية حضارة توحيد لله تعالى.

وهذه الخاصية أصل كل الخصائص الآتية. ذلك أن توحيد الله تعالى يتضمن إفراد الله تعالى بما هو له أهل من عبودية وربوبية وأسماء وصفات، فلا إله إلا الله، ولا رب إلا الله ولا خالق ولا رازق ولا محي ولا مميت ولا ضار ولا نافع ... إلا الله. والناس جميعا عبيد لله تعالى، محتاجون إليه، لا فضل لأحد على أحد عنده سبحانه إلا بالتقوى.

ومن توحيد الله تعالى أن تكون حياة الإنسان بأكملها لله تعالى خالصة، كما قال تعالى:{ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين }[الأنعام:162-163]. وهذه الخاصية لا يشاركها فيها غيرها من الحضارات التي قامت على غير التوحيد كالشرك والوثنية والخرافات.

([48]) ما ذا قدم المسلمون للعالم ؟ راغب السرجاني. ص/49. منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. نصر الدين مصباح القاضي. ط/1. 1424هـ-2002م. دار الفكر للطبع والنشر. القاهرة. ص/105.

والحضارة الإسلامية إذ قامت على توحيد الله تعالى فهي حضارة تتوافق مع المقصود من خلق الإنسان، كما قال تعالى: { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون }[الذاريات: 56] أي: ليوحدوني ولا يشركوا بي شيئا.

" ولعل هذا السمو –في فهم الوحدانية– ما يشعر الإنسان بكرامته الشخصية، وأنه لا يستذل لأحد من خلق الله؛ ومن ثمَّ يتهيأ له جو العمل والفكر بكل حرية".[49]

وعلى هذا الأصل وهو توحيد الله تعالى ربى النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم وكان هذا في العهد المكي الذي نلاحظ في سوره وآياته المكية التركيز على هذا الأصل الذي هو بمثابة الأساس لبناء شخصية المسلم لذي يهيأ للبناء الثاني وهو بناء الحضارة وقد تم ذلك في العهد المدني حيث تأسست أول دولة إسلامية حضارية. فبناء الحضارة يسبه بناء الإنسان، وبناء الإنسان أساسه توحيد الله تعالى، كما قال تعالى: {إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون}[الأنبياء: 92].

يبني الرجالَ وغيرُه يبني القرى () شَتَّانَ بين قُرًى وبين رجالِ

وقد صنعت هذه الخاصية أمة واحدة وحضارة متحدة، تحت راية واحدة، وهي كلمة التوحيد، التي هي السبيل لتوحيد الكلمة.

"ومن هنا فإن لهذه الوحدانية –التي تفرد بها المسلمون نحو خالقهم وخالق الكون ومدبره–تأثيرا واضحا انعكس بصورة جلية على حضارتهم وإسهاماتهم في مسيرة الإنسانية، وقد اتضح ذلك من خلال المبادئ التالية:

1/عدم تأليه الحاكم.

2/ المساواة بين البشر.

3/ انتفاء التماثيل.

4/ التصور الصحيح للخالق وللكون وللحساب".[50]

([49]) ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني.ص/52.

([50]) المرجع السابق. ص/53-54.

حضارة أصيلة.

وهذه الخاصية خاصية التوحيد جعلت الحضارة الإسلامية حضارة أصيلة تستمد أصل واحد وهو الوحي المتمثل في القرآن الكريم والسنة النبوية مع التزام الفهم الصحيح لهما على طريقة النبي صلى الله عليه وسلم الذي نزل عليه الوحي وأصحابه رضي الله عنهم الذين عايشوا زمن نزول الوحي.

ومظاهر أصالة الحضارة الإسلامية عامة تشمل جانبيها المادي والمعنوي وفي كل مجالاتها كالمجال الديني والثقافي والسياسي والعلمي والاقتصادي والتربوي ...

"فهي حضارة توحيد مطلق يضفي على كل النظم والتيارات طابعه التوحيدي الإيماني ... فهناك وحدة في المشاعر، ووحدة في العبودية، والربوبية، ووحدة في التشريع، ووحدة في النظرة للإنسان والكون"[51]

"هذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوي الإنسان وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف والأقوياء ورجال الدين، وتصحيح العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، وتوجيه الأنظار إلي الله وحده وهو خالق الخلق ورب العالمين .. كما كان لهذه العقيدة أثر كبير في الحضارة الإسلامية تكاد تتميز به عن كل الحضارات السابقة واللاحقة، وهي خلوها من كل مظاهر الوثنية وآدابها وفلسفتها في العقيدة والحكم والفن والشعر والأدب، وهذا هو سر إعراض الحضارة الإسلامية عن ترجمة الإلياذة وروائع الأدب اليوناني الوثني، وهو سر تقصير الحضارة الإسلامية في فنون النحت والتصوير مع تبريزها في فنون النقش والحفر وزخرفة البناء. إن الإسلام الذي أعلن الحرب العوان علي الوثنية ومظاهرها لم يسمح لحضارته أن تقوم فيها مظاهر الوثنية وبقاياها المستمرة من أقدم عصور التاريخ، كتماثيل العظماء والصالحين والأنبياء والفاتحين. وقد كانت التماثيل من أبرز مظاهر الحضارات القديمة والحضارة الحديثة، لأن واحدة منها لم تذهب في عقيدة الوحدانية إلي المدى الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية.

([51]) الحضارة الإسلامية إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس ص/20.

وهذه الوحدة في العقيدة تطبع كل الأسس والنظم التي جاءت بها حضارتنا، فهنالك الوحدة في الرسالة، والوحدة في التشريع، والوحدة في الأهداف العامة، والوحدة في الكيان الإنساني العام، والوحدة في وسائل المعيشة وطراز التفكير، حتى أن الباحثين في الفنون الإسلامية قد لحظوا وحدة الأسلوب والذوق في أنواعها المختلفة، فقطعة من العاج الأندلسي، وأخري من النسيج المصري، وثالثة من الخزف الشامي، ورابعة من المعادن الإيرانية، تبدو رغم تنوع أشكالها وزخرفتها ذات أسلوب واحد وطابع واحد".[52]

الخاصية الثانية: الحضارة الإسلامية حضارة عالمية.

لا تختص بجنس ولا زمان ولا مكان ولا بيئة. فهي عالمية العقيدة والشريعة والأخلاق والآداب. يستوي في هذه جميع الناس من حيث دعوتهم إليها، فالإيمان والحلال والحرام والصدق وعدم الكذب ... الناس مدعوون إليه على السواء، حاكمهم ومحكومهم، غنيهم وفقيرهم، أسودهم وأبيضهم، ذكرهم وأنثاهم ... وإنما يتفاضل الناس بحسب استجابتهم لهذه الدعوة العالمية.

قال الله تعالى:{ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا }[الأعراف:158]. وقال:{ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم }[الحجرات:13].

"إن القرآن حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية علي صعيد الحق والخير والكرامة جعل حضارته عقدا تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب والأمم التي خفقت فوقها راية الفتوحات الإسلامية، ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة من أبناء جنس واحد وأمة واحدة، إلا الحضارة الإسلامية فإنها تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب، فأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والخليل وسيبويه والكندي والغزالي، والفارابي، وابن

(52) مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا. مصطفى السباعي. ص/71-72.

رشد وأمثالهم ممن اختلفت أصولهم وتباينت أوطانهم، ليسوا إلا عباقرة قدمت فيهم الحضارة الإسلامية إلي الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنساني السليم".[53]

ومن مظاهر عالمية الحضارة الإسلامية:

أ/ حرية المعتقد بالنسبة لأهل الذمة من اليهود والنصارى والمجوس الذي كانوا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية.

ب/ مشاركة الكثير من هؤلاء في وظائف حكومية مهمة كالطب والترجمة.

ج/ إدراج هؤلاء في زمرة من أسهم في الحضارة الإسلامية كما سبق بيانه في موضعه.

د/ التعاون على البر والتقوى مع الناس، كما قال تعالى:{ وتعاونوا على البر والتقوى }[المائدة:2]، وهذا التعاون عالمي لا يشترط له جنس ولا لغة ولا دين ولا زمان ولا مكان.

هـ/ القول الحسن للناس، كما قال تعالى:{ وقولوا للناس حسنا }، وهذا خلق عالمي لا يشترط له جنس ولا لغة ولا دين ولا زمان ولا مكان.

الخاصية الثالثة: الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية.

الإنسان خليفة الله تعالى في أرضه، استخلفه فيها ليعمرها بالخير، ويتزود فيها بطاعته تعالى للآخرة، ليعود إلى داره الأولى التي أخرج منها بسبب معصيته لله تعالى.

أكرم الله تعالى الإنسان بأن أسجد له الملائكة كما في قصة آدم عليه السلام التي ذكرناها في موضعها سابقا، وسخر لهذا الإنسان الكون من أجل أن يحقق المقصد من خلقه وهو توحيد الله تعالى بعبادته.

وتعتبر القيمة الإنسانية بغض النظر عن عقيدة الإنسان ودينه، فهي من هذه الناحية لا تفرق بين الناس باللون أو اللغة أو النسب؛ بل هم سواء، وإنما الفرق بينهم بالتقوى وهي فعل ما أمر الله رجاء ثوابه، وترك ما نهى عنه خوفا من عذابه. وما يوجد من فوارق بين الناس من الهبات الإلهية كالعلم والمال والمنصب فهذا ليس من أجل أن يعلو بعضنا على بعض أو يظلم بعضنا

([53]) مقتطفات من روائع حضارتنا. مصطفى السباعي. ط/1. 1420هـ-1999م. دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي. ص/73.

بعضا، وإنما هو اختبار من الله تعالى للإنسان هل يشكر أم لا؟ وأيضا هو تسخير من الله تعالى بعضنا لبعض بحسب مسؤولية كل أحد.

كما قال تعالى: { نحن قَسَمْنا بينهم معيشتَهم في الحياةِ الدنيا ورفعنا بعضَهم فوق بعضٍ درجاتٍ ليتخذَ بعضُهم بعضًا سُخريا }[الزخرف:32]. أي: نحن قسمنا بينهم أرزاقهم في الدنيا، وجعلنا منهم الغني والفقير ...؛ ليصير بعضهم مسخرا لبعض.[54]

ما يستفاد من هذه الآية:

1/ أن تفاضل الناس ليس بما وهبهم الله تعالى كالمال والجمال والجاه والمنصب والأولاد...؛ وإنما التفاضل بين الناس بحسب التقوى والعمل الصالح.

2/ أن الهبات الإلهية للإنسان بإزائها مسؤولية أو أكثر كهبة المال بإزائها مسؤولية الزكاة، وكسبه من حلال، وإنفاقه في طاعة الله تعالى ...

3/ الهبات الإلهية ليست وسيلة ليتكبر بعضنا على بعض ولا ليبغي بعضنا على بعض ... وإنما هي نعمة ينبغي شكر الله تعالى عليها بتسخيرها في خدمة من حُرم منها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن لله أقواما يختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويُقِرُّهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فَحوَّلها إلى غيرهم)).[55]

الخاصية الرابعة: الحضارة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان.

صالحة لتطبيقها والعمل بها إلى قيام الساعة، وهذا راجع إلى كون الرسالة خاتمة الرسالات، وإلى كون الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، فلا رسالة بعد الرسالة الخاتمة، ولا رسول ولا نبي بعد الرسول الخاتم، وهذا يلزم منه لا حضارة إسلامية بعد الحضارة الإسلامية.

كما قال الله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[الحجر:9]. أي: إنا نحن الذين نزلنا هذا القرآن على قلب محمد – صلى الله عليه وسلم – تذكيرًا للناس، وإنا للقرآن لحافظون من الزيادة والنقصان والتبديل والتحريف.[56]

([54]) المختصر في التفسير.

([55]) انظر: السلسلة الصحيحة:1692.

([56]) المختصر في التفسير. ص/262.

وقال تعالى:{ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا }[الأحزاب: 40]. وخاتم النبيين فلا نبي بعده.

ويترتب على كون القرآن محفوظا من التبديل والتحريف، وعلى كون الرسول خاتم النبيين أن الحضارة الإسلامية التي أصلها وأساسها كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم صالحة لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة، ولعلها تضعف وتتراجع في مراحل من تاريخها ولكنها لا تزول، فهي كشجرة قد تذبل ولكن لا تموت جذورها، ولهذا تنتعش وتورق وتثمر من جديد كلما اعتنى بها المسلمون بعزيمة كعزيمة أجدادهم وبإرادة كإرادة آبائهم.

وكون الحضارة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان يشمل العقيدة والشريعة والأخلاق؛ لأن هذه المحاور الثلاثة هي التي عليها مدار القرآن الكريم. فبحفظ القرآن حفظت، وبصلاحية القرآن صلحت.

الخاصية الخامسة: الحضارة الإسلامية حضارة متطورة.

الحضارة الإسلامية حضارة متطورة تستطيع أن تَسَعَ كل تطورات الحياة الإنسانية في شتى المجالات، وهذا يرجع إلى:

1/ خاتمية الرسول والرسالة والأمة.

2/ وإلى دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الاجتهاد والقياس والاستنباط في النوازل والحوادث والوقائع التي لم تقع من ذي قبل.

والاجتهاد بدأ به النبي صلى الله وعليه واقتدى به الصحابة رضي الله عنهم وتبعهم الأئمة والمجتهدون بعد ذلك، وهو ماضٍ إلى قيام الساعة كالجهاد في سبيل الله تعالى ماض إلى قيام الساعة.

إشكال وجوابه.

خلاصة هذا الإشكال: أن النصوص من القرآن والسنة محدودة، والوقائع والنوازل غير محدودة؛ فكيف يحيط المحدود بغير المحدود؟

والجواب باختصار: أن من خصائص النصوص الشرعية من القرآن والسنة: إجمال ما يتغير، وتفصيل ما لا يتغير. ولما كانت الوقائع والنوازل تتجدد وتتغير فإن النصوص المجملة التي تحتمل

أكثر من معنى هي التي تستوعب حكمها وتدل عليه، وهذا يؤكد على تطور الشريعة الإسلامية وأنها تَسَعُ مستجداتِ الحياة مهما تشعبت وتعقدت.

مثال إجمال ما يتغير.

المهر في الزواج من المتغيرات ولا يوجد نص يفصل في مقداره، ولهذا جاء الأمر به في القرآن الكريم أمرا مجملا، وهذا يسهل على الناس شأن مقدار المهر بحسب القدرة والاستطاعة والعادات والأعراف ... قال الله تعالى:{ وآتوا النساء صَدُقاتهن نحلة }[النساء:4].أي: وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة.[57]

وتحت هذا الإجمال صور كثيرة تتعلق بمقدار المهر. وأكثر النصوص مجملة بهذا المعنى لتستوعب هذا العدد الهائل من المسائل المستجدة.

مثال تفصيل ما لا يتغير.

أحكام الميراث التي فيها تحديد نصيب كل وارث بحيث يبقى هذا النصيب ثابتا لا يتغير كنصيب الابن والبنت والأب والأم ... وغيرهم. فلما كانت أنصبة هؤلاء لا تتغير جاءت النصوص مفصلة لأحكامهم.

ومن أسباب تطور الحضارة الإسلامية تجديد الدين بمعناه الصحيح.

تعريف تجديد الدين.

ذُكر تجديد الدين في السنة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:((إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)).[58]

فما هو تجديد الدين للأمة الإسلامية؟ الجواب هو:

إحياء وبعث معالم الدين العلمية بحفظ النصوص الصحيحة نقية، وتمييز ما هو من الدين مما هو ملتبس به، وتنقيته من الانحرافات والبدع النظرية والعملية والسلوكية، وبعث مناهج النظر والاستدلال لفهم النصوص على ما كان عليه السلف الصالح، وبعث معالمه العملية بالسعي لتقريب واقع المجتمع المسلم في كل عصر إلى المجتمع النموذجي الأول من خلال: وضع الحلول

([57]) المختصر في التفسير. ص/77.

([58]) رواه أبو داود كتاب الملاحم باب ما يذكر في قرن المائة رقم: 4291.

الإسلامية لكل طارئ، وجعل أحكام الدين نافذة على أوجه الحياة، ووضع ضوابط لاقتباس النافع الصالح من كل حضارة، على ما أبانته نصوص الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح.[59] أو هو باختصار شديد: تجديد الدين هو إحياؤه وبعث معالمه العلمية والعملية، التي أبانتها نصوص الكتاب والسُّنَّة وفهم السلف.[60]

فيدخل في معنى التجديد في الدين تعليم الجاهلين، وتذكير الغافلين، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، والاجتهاد في الوقائع والنوازل لاستنباط حكمها الشرعي. وليس معنى تجديد الدين الإسلامي ترك ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والأولون واختراع دين آخر يتماشى مع الأهواء والشهوات. وليس معنى تطور الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية بأن الدين كان ناقصا ثم تطور وارتقى فصار كاملا، أو أنه ناقص يبقى في تطور دائم ليبلغ الكمال... فهذا وما في معناه غير مراد.

الخاصية السادسة: الحضارة الإسلامية حضارة علم.

الحضارة الإسلامية حضارة علم، بل هي بنت العلم، ولا مكان للجهل فيها، وهناك عدة آيات وأحاديث في فضل العلم وأهله وفي الترغيب فيه من ذلك:

1/ قوله تعالى:{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)} [العلق:1-5].

وهذا أول ما نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الأمر بالقراءة، وفضل العلم والكتابة والخط، وفي هذه الأولية دلالة واضحة عل أن الإسلام دين العلم، وأن الحضارة الإسلامية حضارة العلم، من حيث أن العلم يكون قبل العمل سواء كان العمل يتعلق بالعبادات كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج، أو بالمعاملات كالبيوع والشركات والزواج والطلاق والجهاد والوصايا والميراث، أو بالحياة كالصحة والبناء والصناعة والزراعة، أو النُّظُم كالحكم والقضاء والفتوى والاجتهاد ... وهذا من أن يكون العمل صحيحا ناجحا مفيدا.

([59]) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. إشراف وتخطيط ومراجعة: الدكتور مانع بن حماد الجهني ط/3. 1418.نشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. (1012/2).

([60]) مفهوم تجديد الدين. بسطامي محمد سعيد خير. مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة – المملكة العربية السعودية.ط/1. 1433 هـ – 2012 م. (ص/28).

2/ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورّثوا دينارا ولا درهما إنما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر)).[61]

طلب العلم النافع في الحضارة الإسلامية من أجل العبادات إذا كان بنية خالصة لله تعالى، سواء كان العلم شرعيا أو دنيويا، وبالعلم يعرف الطالب أسباب دخول الجنة التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية، وبالعلم النافع ينال الطالب رضا الله تعالى وكرامته، وبالعلم النافع ينير الطالب للناس الطريق إلى سعادتهم في دنياهم وآخرتهم، وأفضل العلم هو العلم الذي تركه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو علم الكتاب والسنة، وأفضل العلماء من كان أكثرهم أخذا من هذا الميراث النبوي.

3/ اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا بكاملها لا قيمة لها –بل ملعونة– إلا إذا ازدانت بالعلم وذكر الله عز وجل، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، أو عالما أو متعلما)).[62]

وقد كان لذلك كله أثر بعيد المدى في الدولة الإسلامية بعد ذلك، حيث ولد نشاطا علميا واسعا في مختلف ميادين العلم والمعرفة، نشاطا لم يعهد له التاريخ مثيلا، مما جعله يحقق ازدهارا حضاريا عظيما على أيدي علماء المسلمين، ويمد التراث الإنساني بذخيرة علمية رائعة، يظل العالم بأسره مدينا لها.[63]

([61]) رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

([62]) رواه الترمذي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

([63]) ما ذا قدم المسلمون للعالم؟ راغب السرجاني. (ص/168).

4/ لفظ [العلم] في القرآن الكريم ورد بتصريفاته المختلفة سبعمائة وتسعا وسبعين (779) مرة بمعدل سبع مرات في كل مرة مشفوعا معظمها بالدعوة إلى التدبر في آيات الله المسطورة، كما في قوله تعالى: {كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون}[فُصِّلَت:3]، والتفكر في آياته المبثوثة، كما في قوله سبحانه:{ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون}[الأنعام:97].

5/ والعلم قسمان: العلم الديني، العلم الدنيوي. وليس معناه الفصل بينهما؛ وإنما معناه أن العلم الديني له صلة مباشرة بالدين، والعلم الدنيوي له صلة مباشرة بالدنيا. وهما مرتبطان يسيران في خطين متوازيين، فلا تستقيم دنيا الناس ولا دينهم إلا بهما معا، فلو أهملنا العلم الشرعي الذي هو طب القلوب والأرواح، واعتنينا بالعلم الطبي الذي هو طب الأبدان والأجسام فإن الإنسان لا يستطع أن يحقق خلافة الله تعالى في أرضه؛ لدخول العلل والعطب عليه من جهة قلبه وروحه، فإنه وإن صحت الأجسام وقويت الأبدان فما الفائدة منها إذا فسدت القلوب بالشهوات والشبهات وخبثت الأنفس بالمعاصي والسيئات؟ وما قيل في الطب يقال في المال والاقتصاد والتجارة والبيوع، فإذا لم يكن مع هذه علم من الشرع يهدي إلى الصراط المستقيم فإنها تتحول إلى وسائل لمعاملات محرمة مدمرة كالربا، وبيع المخدرات، واستغلال الضعفاء، وتجارة الجنس ...

6/ الدين حاكم على العلوم؛ فلا يجوز تعلم العلوم التي تخالف الدين، أو التي نهى عنها، كما لا يجوز استعمال العلوم فيما يخالف الدين. وهذا هو السر في تقييد النبي صلى الله عليه وسلم العلم بصفة النفع وهذا يدل على أن هناك علما نافعا، وعلما ضارا.

أ/ عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا صلى الصبح حين يسلم: ((اللهم إني أسألك علما نافعا، ورزقا طيبا، وعملا متقبلا)).[64]

([64]) صحيح ابن ماجة: 753.

ب/ عن زيد بن الأرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: ((... اللهم! إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها)).[65]

ج/ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع)).[66]

د/ عن أبي برزة الأسلمي، وجندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها)).[67]

7/ وفي الحضارة الإسلامية العلم: إلهي المبدأ، إلهي الوسيلة، إلهي الغاية.

وهذا متفرع عن الأصل السابق:

أ.العلم إلهي المبدأ، أي: أن الله تعالى هو الذي علم الإنسان ابتداء، كما قال تعالى:{ وعلَّم آدم الأسماء كلها }[البقرة:31]، أي: لبيان منزلة آدم عليه السلام؛ علمه الله تعالى أسماء الأشياء كلها من الحيوان، والجماد ... وغير ذلك، ألفاظها ومعانيها.[68]

وقال تعالى:{ علَّم الإنسان ما لم يعلم }[العلق:5].

ولهذا نسأل الله تعالى العلم النافع –كما جاء في أدعية النبي صلى الله عليه وسلم السابقة–؛ لأن الله تعالى هو الذي يعلمنا ما ينفعنا، ويعيننا بتوفيقه وبما آتانا من الوسائل في أنفسنا وفي هذا الكون ... كما قال تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[النحل:78]. وقال تعالى:{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }[يونس:5].

([65]) رواه مسلم: 2722. وغيره.

([66]) رواه ابن ماجة وغيره. الصحيحة: 1511.

([67]) رواه الطبراني. صحيح الترغيب 126، 127.

([68]) المختصر في التفسير. (ص/6).

ب. العلم إلهي الوسيلة، أي: الذي أرشد إلى وسائل العلم وشرعها؛ هو الله تعالى كالقراءة والكتاب والكتابة والصحف والأسفار والقلم والقرطاس والخط والنسخ والرقيم والمرقوم والرَق واللوح والمداد والمنشور والورق.[69] وكل الذي ذكرتُ من هذه الوسائل الإلهية جاء ذكره في القرآن الكريم.

وهذه الوسائل التي ذكرنا ليست هي الوحيدة للعلم كما يدل على هذا الواقع، فقد استحدث الإنسان وسائل أخرى في القديم والحديث حتى وصل إلى ما نحن عليه من التطور المتلاحق إلى درجة يصعب فيها حصر وسائل العلم اليوم ... إلا أنه تبقى تلك الوسائل الإلهية المشار إليها هي الأصل وغيرها تبع تفرع عنها فلا جديد إذن في أصل وسائل العلم، وإنما الجديد في وصف هذه الوسائل.

ج.العلم إلهي الغاية:

أي: يبتغي الطالب من العلم الذي يتعلمه وجه الله تعالى، ليس رياء ولا سمعة ... ولا غير ذلك من المقاصد السيئة.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو ليصرف به وجوه الناس إليه؛ فهو في النار)).[70]

وكما في حديث الثلاثة الذين هم أول الناس من يُقضى عليه يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((... ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرَّفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار ...)).[71]

([69]) معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة. الآثار والعمران والفنون. عثمان عثمان إسماعيل. ص/64-66.

([70]) رواه الترمذي عن كعب بن مالك رضي الله عنه، ورواه ابن ماجة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما واللفظ لابن ماجة.

([71]) رواه مسلم: 1905.وغيره.

ومن الغايات الإلهية أن يستعمل العلمَ الذي تعلمه فيما يحبه الله تعالى ويرضاه، كالتعليم – سواء كان دينيا أو دنيويا–، والتربية، والتوجيه، والفتوى، والقضاء، و الاجتهاد، والاختراع والابتكار، والتطوير، والاكتشاف ...

ولا يخفى أن أجلَّ وأعظم الغايات من طلب العلم؛ العلم بالله تعالى وتوحيده وعبادته، والعلم بدينه بأقسامه الثلاثة: الإيمان والإسلام والإحسان، والعلم بنبيه صلى الله عليه وسلم وسنته وسيرته. والعلم بهذه العلوم الثلاثة هي التي يقع عليها السؤال في القبر: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

8/ لا تعارض بين الدين وبين العقل في الحضارة الإسلامية.

فالشرع القويم لا يتعارض مع العقل السليم، وإذا وجدنا تعارضا بينهما فهنا أحد احتمالين: إما يكون ما نُسب إلى الشرع ليس من الشرع، وإما يكون ما نُسب إلى العقل ليس من العقل.

ولا يوجد تناقض البتة بين الشرع وبين الحقيقية العلمية الصحيحة، ولا بين الشرع وبين القضية العقلية الصحيحة.

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة فيها مخاطبة العقل، والدعوة إلى استعمال العقل ولواحقه كالفكر والتدبر والمثَل والعلم والاعتبار ... مما يدل على أن القرآن الكريم لا يتناقض مع العقل السليم والفكر الصحيح.

ولكن لا ينبغي جعل العقل مستقلا في تفكيره عن القرآن الكريم؛ لأن قدرة العقل محدودة مهما اتسعت معلوماته ومعارفه، أما القرآن فقد أنزله الله تعالى بعلمه، والله تعالى بكل شيء عليم، فالعقل الذي يفكر بنور القرآن الكريم عقل سليم، والعقل الذي يفكر بمعزل عن القرآن الكريم عقل سقيم.

والحضارة الإسلامية التي قامت على أساس القرآن الكريم استجابت لدعوة القرآن الكريم إلى إعمال العقل في حدوده ومجاله، وذلك في علوم شتى أشار إليها القرآن الكريم وليس هذا في العلوم الشرعية فحسب بل حتى في العلوم كعلم الطب والفلك والصيدلة والإنسان والحيوان والنبات والأجنة والكواكب والبحار والأنهار والبراكين والزمن الحساب ...

9/ ومن خلال ما سبق يتبين البون الشاسع بين موقف الإسلام من العلم والعقل ... وبين موقف المسيحية المحرفة في العصور الوسطى حيث كانت معادية للعلم والعلماء ووصل بهم الحد إلى إنكار الحقائق العلمية الصحيحة، والحجر على العلماء والمفكرين، بل وصل الأمر إلى اضطهادهم كـ (**كوبرنيكس**)، وقتلهم كـ (**برونو**)، وسجنهم مدى الحياة كـ (**جاليليو**). وقد دامت هذه الفترة ما يقارب عشرة قرون تسمى بالعصور المظلمة. ثم جاءت ردة الفعل من قِبل العلماء والفلاسفة خاصة أمثال(ديكارت) و (فولتير) فسعوا إلى هدم سلطان الكنيسة ومحو الدين تماما والاتجاه إلى الإلحاد والعلمانية ... حتى آل أمر الدين إلى حصره في جدران الكنيسة لا يعدو أن يكون وعظا وترنيم.[72]

10/ العلم في الحضارة الإسلامية حق الجميع، وليس لطبقة خاصة ولا لفئة معينة، وقد ساد في الحضارة الإسلامية علماء، وكان يشار إليهم بالبنان، وأصلهم من الموالي والعبيد. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم)).[73]

وتجسد تعميم التعليم في الحضارة الإسلامية في مظاهر منها:[74]

أ.**المكتبات العامة** المفتوحة لعموم الناس بالمجان، وقد وجدت هذه المكتبات بكثرة في كل مدن العالم الإسلامي، ولعل من أشهرها مكتبات: بغداد، وقرطبة، وإشبيلية، والقاهرة، والقدس، ودمشق، وطرابلس، والمدينة، وصنعاء، وفاس، والقيروان.

ب. **ظهور مجالس العلم العامة**. حيث سبق المسلمون إلى هذا النوع من المجالس التي يلتقي فيها كبار العلماء بعامة الناس، ومما ذُكر عن ابن الجوزي أن مجلسه كان يحضره مائة ألف إنسان أغلبهم من عامة الناس.

ج. **اعتبار الإنفاق على العلم صدقة وقربة إلى الله تعالى**. وهذا فتح باب التنافس بين المسلمين في بناء المدارس والمكتبات والوقف على طلبة العلم...

([72]) انظر: ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ص/ 168-172.

([73]) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ورواه غيره. صحيح الجامع الصغير: 3913.

([74]) ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ص/174-175.

المحاضرة الخامسة ((05)):

خصائص الحضارة الإسلامية

[الجزء الثاني]

- الخاصية السابعة: الحضارة الإسلامية تمزج بين المادة والروح.
- الخاصية الثامنة: لحضارة الإسلامية حضارة الأمانة.

أ) أنواع الأمانة.

1/ أمانة العبادة. 2/ أمانة الودائع.

3/ أمانة الوظيفة. 4/ أمانة الولاية والمسؤولية.

5/ أمانة السر. 6/ الأمانة العلمية.

ب) بعض النماذج التي فيها الأمانة العلمية عند المسلمين.

ج) نماذج للخيانة العلمية عند الغرب.

– الخاصية التاسعة: الحضارة الإسلامية حضارة العدل.

مجالات العدل.أهمية العدل والمساواة.

- الخاصية العاشرة: حضارة أخلاق وقيم. (نماذج من الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية).
- الخاصية الحادية عشرة: حضارة وسطية وتوازن.

أ) التوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات المادة.

ب) الوسطية بالجمع بين علوم الشرع وعلوم الحياة.

ج) التوازن بين الدنيا والآخرة.

د) التوازن بالجمع بين المثالية والواقعية.

الخاصية السابعة: الحضارة الإسلامية تمزج بين المادة والروح.

الحضارة الإسلامية تمزج بين المادة والروح، بين مصلحة الجسم وبين مصلحة القلب والروح. على عكس الحضارات الأخرى التي تُغلب الجانب المادي كالحضارة الغربية الرأسمالية، والاشتراكية، أو كالتي تغلب الجانب الروحي كالحضارة الهندية البوذية.

وهذا مظهر من مظاهر وسطية الحضارة الإسلامية واعتدالها، ونلمس هذا مثلا في إنجازاتها وعطاءاتها –كما سيأتي– فما قدمته الحضارة الإسلامية فيه ما يخدم الروح والقلب والنفس، وفيه ما يخدم الجسم ورغباته وميولاته.

وأصل هذه الخاصية يرجع إلى حقيقة خلق الإنسان التي فَصَّلها الله تعالى في القرآن الكريم في آيات عدة، نجد فيها أن الإنسان جسد وروح، وبالتالي لكل واحد منهما متطلبات، والسبيل الأمثل لتلبيتها هو المزج والتكامل والتوازن الذي يجعل الإنسان يسير على الصراط المستقيم بجسد سليم وروح سامية.

قال الله تعالى:{ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ }[السجدة:7-9].

وتغليب متطلبات الجانب المادي الجسدي وإهمال الجانب المعنوي الروحي يؤدي إلى الإغراق في الملذات والشهوات، والاعتناء بالظاهر دون الباطن، وترك الأخلاق والقيم، وانتشار الجرائم والآفات...

وتغليب متطلبات الجانب المعنوي الروحي يؤدي إلى الغلو في العناية بالقلب والنفس، والاهتمام بالباطن دون الظاهر، والتشدد بالامتناع عن المباحات، وإهلاك الجسم، والدخول في الخواطر والوسواس...

فعلى الحال الأولى أو الثانية لا تقوم حضارة متكاملة متوازنة بركنيها المادي المدني والمعنوي الثقافي وإنما تقوم حضارة عرجاء سرعان ما تسقط وتزول لعجز الإنسان الذي هو باني الحضارة بسبب عدم سلوك المنهج السليم في تعامله مع متطلبات روحه وجسده. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:

((... والقصدَ القصدَ تبلغوا)).[75] أي: الزموا الطريق الوسط المعتدل.[76]

ومن الأمثال العربية السائرة ويُروى حديثا ولكنه لا يصح: الـمُنْبَتُّ لا ظهرا أبقى، ولا أرضا قطع.

والمنبت هو المتشدد في ركوب الدابة حيث لا يعطيها فرصة للترويح والاستجمام، همُّه فقط هو أن يصل إلى البلاد التي قصدها، ولعدم توازنه في تعامله مع دابته هلكت، والنتيجة هي أنه لم يصل إلى المكان المقصود، ولم يحافظ على الدابة التي تحمله.

فكذلك الإنسان –بجسده وروحه– هو المركب الذي يحمله لتحقيق مقاصده، فإذا غلب عليه الجانب المادي لم يصل، وإذا غلب عليه الجانب الروحي لم يصل.

فالتكامل لازم لتحقيق خلافة الإنسان في الأرض، وتكامل الشخصية الإنسانية لا يتم إلا بالجمع بين جوانبها ومقوماتها المختلفة الدينية والعلمية والقلية والروحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، لكي تستطيع بعد تكاملها أن تحقق هدفها وغايتها في إرضاء الله تعالى، ومن هنا تصل إلى سعادتها الأبدية.[77]

ومما يناسب ذكره هنا أن المباحات –التي هي لمصلحة الجسم– في الإسلام يمكن أن نمزج معها مصلحة الروح والقلب بأن ينوي بها نية صالحة. ولهذا كان من قواعد المقاصد والنيات: المباحات إذا اقترنت بالنيات الصالحات تحولت إلى قربات وطاعات.

ومن تطبيقات هذه القاعدة: الزواج بنية العفاف، والنوم بنية الاستيقاظ لصلاة الفجر أو قيام الليل، والأكل والشرب بنية السحور والصوم.

([75]) رواه البخاري ومسلم عن عن أبي هريرة رضي الله عنه.

([76]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني. (298/11).

([77]) منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. نصر الدين مصباح القاضي. ط/1. 1424هـ-2002م. دار الفكر للطبع والنشر. القاهرة. (ص/106).

الخاصية الثامنة: لحضارة الإسلامية حضارة الأمانة.

الحضارة الإسلامية حضارة الأمانة، ويدخل في معنى الأمانة كل ما استأمننا الله تعالى عليه من الأوامر والنواهي وغيرهما، والأمانة في الأوامر بفعلها، والأمانة في النواهي بتركها، وعليه يتبين أن مفهوم الأمانة ليس كما يعتقد الكثير من الناس بأنها حفظ الودائع فقط، وإنما لها مفهوم واسع جدا ولهذا لما عرض الله تعالى الأمانة على السموات والأرض والجبال أَبَيْنَ أن يحملنها. يقول الله تعالى:{ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا }[الأحزاب"72].أي: إنا عرضنا التكاليف الشرعية، وما يحفظ من أموال وأسرار، على السماوات وعلى الأرض وعلى الجبال، فامتنعن من حملها، وخفن من عاقبته، وحملها الإنسان، إنه كان ظلوما لنفسه، جهولا بعاقبة حملها.[78]

والآية تفيد عظم الأمانة التي تحمّلها الإنسان.

فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف، فيؤدي فروض الدين كما ينبغي، ويحافظ على الصلاة والصيام وبر الوالدين، وغير ذلك من الفروض التي يجب علينا أن نؤديها بأمانة لله رب العالمين. والأمانة تشمل كل ما استودعك الله أمره وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظ جوارحك عن كل ما لا يرضي الله، وحفظ ما ائتمنت عليه من حقوق الناس، والأمانات تعم أيضًا جميع الواجبات على الإنسان سواء كان واجبًا عليه ابتداء، وهو ما يتساوى فيه الناس من حقوق الله تعالى على عباده كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، أو كان واجبًا لسبب من الأسباب من حقوق الله- تعالى -كالكفارات والنذور.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خمس من جاء بهن يوم القيامة مع إيمان دخل الجنة :من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن، وأعطى الزكاة من ماله طيّب النفس بها – وكان يقول – وايم الله، لا يفعل ذلك إلا مؤمن، وأدّى الأمانة، قالوا :يا أبا الدرداء وما أداء الأمانة؟ قال رضي الله عنه: الغسل من الجنابة، فإن الله- تعالى – لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.[79]

([78]) المختصر في التفسير. ص/427.

([79]) رواه أبو داود والطبراني والفظ له. انظر: صحيح الترغيب والترهيب: 369.

ولا تنافي بين تفسير الأمانة بالتكليف، وبين ما روي عن بعض السلف في تفسير الأمانة ببعض الواجبات كما روي عن بعضهم أنه قال: الأمانة: الصلاة، والصوم، والاغتسال من الجنابة.

وقال بعضهم: الأمانة: هي الفرائض. وقال آخرون: هي الطاعة. وقال آخرون: الدين والفرائض والحدود. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الأمانة أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وصدق الحديث، وقضاء الدين، والعدل في المكيال والميزان، وأشد من هذا كله الودائع. وقال زيد بن أسلم: هو الصوم، والغسل من الجنابة، وما يخفى من الشرائع. وقال بعضهم: هي أمانات الناس، والوفاء بالعهود.[80]

أنواع الأمانة.[81]

1/ أمانة العبادة.

كفرائض العبادات من الصلاة والزكاة والصيام والحج والطهارة ...، وكاجتناب المحرمات من الكبائر والموبقات. وأعظم الأمانات التي أمر الله بها هي أمانة التوحيد أن يعبد الله وحده ولا يشرك به سبحانه مع كمال الحب له وغايته، ومع كمال الذل له وغايته.

2/ أمانة الودائع.

كوديعة المال واليتيم والعامل والخادم والبهائم والسمع والبصر والزوجة والأولاد ... مما استودعنا الله تعالى عليه، فيجب حفظه كما أمر الله ولا ينبغي تضييعه.

ومن الودائع التي هي من أعظم الأمانات المال العام الذي يشترك في الانتفاع به عامة المسلمين كمال المؤسسة والشركة والبلدية ...

وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لما جيء بكنوز كسرى يوم فتح المدائن وكانت كنوزا عظيمة نظر إليها فقال: ((إن قوما أدوا هذا لأمناء))، فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((إنك عففت فعفت رعيتك، ولو رتَعْتَ لَرتَعت)).[82]

([80]) انظر: خيانة الأمانة في تاريخ الحضارة الإسلامي. (دراسة تاريخية قانونية). عبد الله سعدون الشمري. جامعة سانت آلمنتس العالمية. فلسفة في التاريخ الحضارة الإسلامية. أطروحة قدمت إلى جامعة سانت آليمنتس العالمية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه. بغداد. 1431هـ-2010م. (ص/46-47).

([81]) المرجع نفسه. (ص/46-52).

([82]) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير. (67/7). لو رَتَعْتَ: لو تَنَعَّمْتَ ولَهَوْتَ...

3/ أمانة الوظيفة.

كمن استؤجر لأداء عمل فلا بد من أدائه على وفق الشروط، قال الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود}[المائدة:1] فمن وُكِل إليه عملٌ مقابلَ أجرٍ أو راتبٍ، فعليه بالوفاء وأداء ما وكل إليه كما ينبغي، وإلا فإنه لم يؤد الأمانة. وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((المسلمون على شروطهم)).[83]

4/ أمانة الولاية والمسؤولية.

كأمانة الخليفة والملك والأمير والرئيس والوزير والوالي والمدير والزوج والزوجة ... قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((كلُّكم راع وكلُّكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)).[84]

5/ أمانة السر.

من الأمانات التي يجب حفظها أمانة السر، حيث يستأمن المسلم أخاه المسلم على بعض أسراره فلا ينبغي إفشاؤها. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إ ذا حدَّث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة)).[85] والمراد من الحديث أن جاء الرجل إلى رجل صاحبه وقبل أن يحدثه بالحديث جعل يلتفت يمنة ويسرة وخلف من أجل أن لا يسمعه أحد فهذه أمارة على أنه استأمن صاحبه على سر، والواجب حفظه وعدم إفشائه.

ويدخل في أمانة السر أسرار الدولة والمؤسسات والشركات والمعلومات الخاصة ... كأسرار الزوجين فيما يكون بينهما من أمر الاستمتاع. وقد نهى عن هذا النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: ((عسى رجل يُحدِّث بما يكون بينه وبين أهله، أو عسى امرأة تحدث بما يكون بينها وبين

([83]) رواه أبو داود وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه.

([84]) رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

([85]) رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

زوجها، فلا تفعلوا، فإن مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة في ظهر الطريق فغشيها والناس ينظرون)).[86]

6/ الأمانة العلمية.

ويدخل في الأمانات الأمانة العلمية وهي نسبة العلم إلى أهله. وقد قامت الحضارة الإسلامية بهذا النوع من الأمانات أحسن قيام حيث نسبت العلوم والكتب والنظريات إلى أصحابها، وإن كانت الحضارة الإسلامية لم تقتصر على مجرد النقل المجرد وإنما طروت وأضافت وابتكرت مما جعلها سيدة الركب في العالم لمدة عشرة قرون كاملة.

وهذا على عكس الحضارة اليونانية التي اقتبست من الحضارة العربية القديمة ببلاد الرافدين ومن الحضارة المصرية ولم تصرح، وكالحضارة الأوربية التي أخذت من الحضارة الإسلامية ولم تصرح بل أضافت ذلك إلى نفسها؛ بل تجاوزت ذلك فأنكرت إنجازات وعطاءات الحضارة الإسلامية واعتبرتها ساعي بريد بينها وبين الحضارة اليونانية.

بعض النماذج التي فيها الأمانة العلمية عند المسلمين.[87]

1/ ذكر أولاد موسى بن شاكر في كتابهم (معرفة مساحة الأشكال البسيطة والكروية) ما نصه: ((فكل ما وصفنا في كتابنا فإنه من عملنا، إلا معرفة المحيط من القطر؛ فإنه من عمل أرشميدس، وإلا معرفة وضع مقدارين بين مقدارين لتتوالى على نسبة واحدة؛ فإنه من عمل مانالاوس)).

2/ يقول أبو بكر الرازي صاحب كتاب "الحاوي" –من أعظم الكتب في تاريخ الطب–: ((ولقد جمعت في كتابي هذا جملا وعيونا من صناعة الطب مما استخرجته من كتب(أبقراط)، و(جالينوس)، و(أرماسوس، ... ومن دونهم من قدماء فلاسفة الأطباء، ومن بعدهم من المحدثين في أحكام الطب مثل: (بولس)، و(آهرون)، و(حنين بن إسحاق)، و(يحي بن ماسويه) ... وغيرهم)).

([86]) رواه أحمد الطبراني عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها.

([87]) ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. ط/2. 1430هـ-2009م. مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة. القاهرة. (ص/188-189).

نماذج للخيانة العلمية عند الغرب. [88]

1/ سرقة اختراع ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى حيث قام بتسجيلها بدقة في كتابه: (شرح تشريح القانون) غير أن هذه الحقيقة ظلت مختفية قرونا طويلة، ونسبت فيما بعد وهما إلى الطبيب الإنجليزي (وليام هارفي) الذي بحث في دورة الدم بعد وفاة ابن النفيس بأكثر من ثلاثة قرون، وظل الناس يتداولون هذ الوهم حتى أبان عن الحقيقة الدكتور المصري محي الدين التطاوي. وأعاد الحق إلى صاحبه، وذلك حين عثر على نسخة من مخطوطة (شرح تشريح القانون) لابن النفيس في مكتبة برلين، وقا بإعداد رسالة في الدكتوراه عنها، وعُني فيها بجانب واحد من جوانب هذا الكتاب العظيم، ألا وهو موضوع: الدورة الدموية وذلك سنة 1343هـ-1924م.

2/ نسبة علم الاجتماع إلى دوركايم اليهودي الفرنسي، بينما الذي اكتشف هذا العلم وأسسه هو العلامة المسلم عبد الرحمن بن خلدون[808هـ].

3/ نُسبت قوانين الحركة لإسحاق نيوتن، بينما الذي اكتشف هذه القوانين عالمان مسلمان هما: ابن سينا[428هـ]، وهبة الله بن ملكا[560هـ].

4/ في كتاب (روجر بيكون) المعروف بـ(cepus majus) فصل كامل هو الفصل الخامس، ما هو إلا ترجمة حرفية لكتاب (المناظر) لابن الهيثم، وذلك دون أن يشير بتاتا إلى المؤلف الأصلي للمادة.

الخاصية التاسعة: الحضارة الإسلامية حضارة العدل.

العدل هو وضع الشيء في موضعه، وإعطاء كل ذي حق حقه. قال الله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}[النحل:90].

([88]) المرجع نفسه. (ص/185-188).

وللعدل مجالات كثيرة:

1/ كالعدل في الحكم والقضاء، قال الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }[النساء:57].أي: إن الله يأمركم أن توصلوا كل ما ائتمنتم عليه إلى أصحابه، ويأمركم إذا قضيتم بين الناس أن تقسطوا ولا تميلوا وتجوروا في الحكم.[89]

2/ العدل في الشهادة حتى مع القريب، قال الله تعالى: { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}[الأنعام:152]. أي: وحَرَّم عليكم أن تقولوا غير الصواب في خبر أو شهادة دون مُحَاباة قريب أو صديق.[90]

3/ العدل في معاملة الأعداء والمخالفين. قال الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[النساء:8]. أي: يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله، كونوا قائمين بحقوق الله عليكم مبتغين بذلك وجهه، وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور، ولا يحملنكم بُغْض قوم على ترك العدل، فالعدل مطلوب مع الصديق والعدو، فاعدلوا معهما، فالعدل أقرب إلى الخوف من الله، والجور أقرب إلى الجسارة عليه، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله خبير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وسيجازيكم عليها.[91]

4/ العدل بين الزوجات. قال الله تعالى:{ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً}[النساء:3].

5/ العدل بين الأولاد. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا الله واعدلوا في أولادكم)).[92]

([89]) المختصر في التفسير. (ص/87).

([90]) المرجع نفسه. (ص/149).

([91]) المرجع نفسه. (ص/108).

([92]) **رواه البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما.**

6/ العدل في حق الحياة. قال الله تعالى:{ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا }[المائدة:32]. فحق الحياة في الإسلام مكفول لكل الناس على اختلاف الأجناس واللغات والألوان والديانات...

وفرقٌ بين العدل والمساواة، فالعدل لا يقتضي المساواة، والمساواة تقتضي العدل إذا كان الله تعالى أمر بها.

وبخاصية العدل سادت الحضارة الإسلامية وقادت، وشعر الناس فيها بالطمأنينة، لما علموا أن حقهم لن يضيع، وأن كرامتهم لن تداس.

وفي تاريخ الحضارة الإسلامية شواهد من وقائع العدل تأتي في كتاب مستقل. ولا ننس كلمة ربعي بن عامر –المشهورة– لرستم قائد الفرس: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.[93]

وفي قصة المخزومية التي سَرقت، وما فيها من عدل النبي صلى الله عليه وسلم.

"إن قيم العدل والمساواة لم تكن يوماً من الأيام قيم نظرية فقط؛ بل طبقت على مدار التاريخ الإسلامي في صور عملية، وتم الالتزام بها من الحكام والمحكومين على حد سواء؛ فتأتي قريش إلى أسامة بن زيد وقد أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، كيف تُقطع يدها ؟ وهي من بني مخزوم من سادات قريش، فيريدون لها استثناء من العقوبة نظراً لمكانتها، ومكانة قومها. فيكلم أسامة بن زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فماذا كان جواب رسول الله ؟ أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟ ثم يقرر قاعدة لهلاك الأمم، وزوالها، واندثار حضارتها (إنما أهلك من كان قبلكم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) ثم يقرر أن لا استثناءات، ولا مميزات في القانون حتى لو كان للحاكم نفسه أو لأقرب المقربين إليه (والله لو أن فاطمة بنت محمد سَرَقَت لقطعت يدها)[94]".[95]

([93]) البداية والنهاية، لابن كثير[774هـ]. المحقق: علي شيري. ط/1. 1408هـ-1988م. الناشر: دار إحياء التراث العربي.(47/7).

([94]) رواه البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

([95]) العدل والمساواة قيم أصيلة في الحضارة الإسلامية. محمد زاهي مقدادي.
https://www.wasatyea.net/ar/content .الأحد 22 جوان 2014م.

يقول الزحيلي: ((لا يعرف الإسلام في أحكامه وقضاته ومحاكمه التفرقة بين مسلم وغير مسلم، فالكل أمام الحق والعدل سواء، ولا محاباة لمسلم على غير المسلم في أي مظهر أو وضع من مظاهر القضاء وأوضاعه)).[96] كما يؤكد على هذا المعنى راغب السرجاني فيقول : ((فالعدل في الإسلام لا يتأثر بحب أو بغض، فلا يفرق بين حسب ونسب، ولا بين جاه ومال، كما لا يفرق بين مسلم وغير مسلم؛ بل يتمتع ـ بالعدل ـ جميع المقيمين على أرضه من المسلمين وغير المسلمين مهما كان بين هؤلاء وأولئك من مودة أو شقاق)).[97]

أهمية العدل والمساواة.[98]

1/ أنها تعبير حقيقي عن كرامة الإنسان بغض النظر عن دينه ولونه، فحينما تخاصم أبو ذر مع رجل فقال أبو ذر له: يا ابن السوداء، فشكى ذلك الرجل للنبي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر : ((أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية)).[99]

فلا اللون ولا الجنس هما أساس المقايسة والمفاضلة، بل نجد النص القرآني يقرر {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}[الحجرات:13]،{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر} [الإسراء:70].

يقول علي حسن الطوالبة: ((الشريعة الإسلامية وضفت مبادئ الحرية والعدل والمساواة في خط واحد، يكمل أحدهما الآخر؛ لأن هذه المبادىء هي التي تعبر حقيقة عن كرامة الإنسان التي تنشدها حقوق الإنسان في الدساتير والصكوك الدولية؛ فالشريعة الإسلامية سباقة في حفظ الكرامة الإنسانية منذ 1400سنة)).[100]

([96]) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي. (375/1).

([97]) الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، راغب السرجاني. (ص/71).

([98]) العدل والمساواة قيم أصيلة في الحضارة الإسلامية. محمد زاهي مقدادي.

([99]) رواه البخاري:6050، ومسلم: 1661. عن أبي ذر رضي الله عنه.

([100]) حق المساواة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية. (ص/11).

2/ أنها ميزان الله على الأرض يؤخذ للضعيف حقه، وينصف المظلوم ممن ظلمه، وتمّكن صاحب الحق من الوصول إلى حقه في أقرب الطرق وأيسرها. وفي خطاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه يقرر هذه القاعدة ؛ حيث استفتح به خلافته، إذ يقول: ((الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى)).[101]

3/ أنها تحقق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم؛ فالمطالع البصير لما يجري في الوقت الحاضر من خراب ودمار في بلاد المسلمين يعرف أن السبب الأول والرئيس هو غياب العدالة والمساواة. وإذا ما أردنا استقراراً وطمأنينة فعلينا أن نطبق هذه القيم تطبيقا عمليا لا نظريا؛ حتى يطمئن كل فرد في المجتمع أن كرامته مصانة، وحقه محفوظ، وأنه لا تمايز، ولا طبقية، ولا استثناءات. فهذه القيم تعمل على استقرار المجتمع، وتحقيق الأمن، كما يقول الطوالبة: ((لو تم تطبيق هذه المبادئ من قبل الحكومات والأنظمة السياسية في البلدان التي تدين بالإسلام، وتحكم بمبادئه لما شهدنا فرقاً في حقوق الإنسان، وانتهاكا لكرامة الإنسانية، ولكانت هذه البلدان أنموذجا يحتذي في احترام حقوق الإنسان، ولكن الابتعاد عن الشريعة الإسلامية، والاستهانة بالمبادئ النبيلة التي وضعتها من أجل الإنسان هو الذي جعل البلدان الإسلامية في مؤخرة الدول المعنية بحقوق الإنسان)).[102]

الخاصية العاشرة: حضارة أخلاق وقيم.

إن الحضارة في معناها الحقيقي ليست تقدما ماديا، بل هي تعني القيم الخلقية، والتطور الروحي الذي هو أساس التطور الحقيقي في بناء الحضارة في حين أن التخلي عن هذه القيم يفضي إلى السقوط الحضاري.[103]

([101]) الكامل في التاريخ، لابن الأثير[630هـ] . تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط/1. 1417هـ-1997م. الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.(192/2).

([102]) حق المساواة في الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية. (ص11).

([103]) موقف القرآن الكريم من الحضارة. قيس عبد الرحمن جاسم. العدد السادس والأربعون. مجلة ديالي/2010. (ص/306-328).

تُعد الأخلاق السياج الراقي للحضارة الإسلامية، وهي الأساس الذي قامت عليه، فمبادئ القيم والأخلاق تتدخل في كل نظم الحياة، وفي مختلف أوجه نشاطها، سواء في السلوك الشخصي، أم في السلوك الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي ... ففي الحكم، وفي العلم، وفي التشريع، وفي الحرب، وفي السلم، وفي الاقتصاد، وفي الأسرة ... رُوعيت المبادئ الأخلاقية في الحضارة الإسلامية تشريعا وتطبيقا. وبلغت في ذلك شأوا ساميا بعيدا، لم تبلغه حضارة في القديم والحديث، ولقد تركت الحضارة الإسلامية في ذلك آثارا تستحق الإعجاب وتجعلها وحدها من بين الحضارات التي كفلت سعادة الإنسانية سعادة خالصة لا يشوبها شقاء.[104]

وسبق لنا تفصيل جوانب كثيرة تتعلق بالأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية عند بيان مصادر الحضارة الإسلامية.

نماذج من الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية.[105]

هذه إشارات مختصرة إلى بعض النماذج من الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية مع ملاحظة أن بعض هذه الأخلاق والقيم هي في نفس الوقت من خصائص الحضارة الإسلامية.

([104]) ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني.(ص/60).

([105]) القيم الحضارية في السنة النبوية. عيسى بن عوض العُضيَّاني. مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية. شحادة الناطور. أحمد عودات. جميل بيضون. ط/1. 1989م. دار الأمل للنشر والتوزيع. إربد. (ص/279). منهج الإسلام في مواجهة التحديات الحضارية المعاصرة. نصر الدين مصباح القاضي. ط/1. 1424هـ-2002م. دار الفكر للطبع والنشر. القاهرة. (ص/106-108). الحضارة الإسلامية. إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس. (ص/20-22). مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا.مصطفى بن حسني السباعي[1384هـ]. ط/1.1420هـ-1999م. الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع،بيروت، المكتب الإسلامي.(ص/75-76). خصائص الحضارتين الإسلامية والغربية.دراسة في الحوار الحضاري.أطروحة تقدم بها رعد سليمان حسين الجبوري إلى مجلس كلية أصول الدين.الجامعة الإسلامية وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في فلسفة أصول الدين.تخصص فكر إسلامي.1427هـ-2007م. (ص/95-96). القيم الحضارية في رسالة خير البشرية صلى الله عليه وسلم. القيم العلمية. محمد بن عبد الله بن صالح السحيم. مجلة الدراسات الإسلامية. العدد الأول-المجلد الرابع والأربعون-الربيع(يناير-مارس2009م/محرم ربيع الأول 1430هـ) مجمع البحوث الإسلامية- الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد.باكستان.

أ/ مبدأ العدالة وعدم التعدي والجور والظلم وهي شعار الإسلام.

وهي ثلاثة أقسام: العدالة مع الله بتوحيده وعدم الشرك به. والعدالة مع النفس بالمحافظة عليها من كل ما يعود عليها بالضرر في دينها ودنياها وآخرتها. العدالة مع الناس مع اختلاف العلاقة والدين ... بعدم ظلمهم في دمائهم وأعراضهم وأموالهم ...

ب/ مبدأ الرحمة.

وهي ليست خاصة بالمسلمين؛ وإنما تتعداهم إلى سواهم من غير المسلمين، ما لم يكونوا محاربين، وتشمل حتى الحيوانات.

ج/ مبدأ التكافل الاجتماعي.

فالوحدة والتآلف والاجتماع من مقاصد الشريعة، وهذا شأن المجتمع الرشيد، المجتمع الذي أبناؤه وأفراده، فهم كالجسد الواحد يشعر الغني بألم الفقير فيواسيه بماله، وكذا بقية أفراد المجتمع.

د/ مبدأ الحرية.

سبق وأن فصلنا في هذه القيمة، والتي اعتنى بها الإسلام بصفة لا نظير لها، فقد أقر الإسلام في إطاره الحرية الدينية، والحرية العلمية والعقلية، الحرية الملكية ... وغيرها من أنواع الحريات.

هـ/ مبدأ العلم.

سبق لنا الحديث عن هذه القيمة الجليلة في الإسلام وحضارته، وبينا نظرة الإسلام وحضارته إلى العلم وهي نظرة متكاملة متوازنة. لما تحدثنا عن خاصية العلم في الحضارة الإسلامية.

و/ مبدأ الشورى واعتبار آراء الآخرين وترك الاستبداد بالرأي دون الآخرين.

دين الإسلام دين يتني بمراعاة نفوس أهله، والأخذ بخواطرهم وجبر قلوبهم، ومن ذلك نبذ الاستبداد بالرأي والتفرد به والقطع به دون الرجوع إلى الآخرين، ما من شأنه أن يوغر صدور الناس بعضهم على بعض، وهذا خلاف مقصود الشارع الذي يتشوف إلى التآلف والمحبة...وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يستشير أصحابه، وسار هذا النهج أصحابه رضي الله عنهم من بعده.

ز/ التسامح الديني العجيب.

من قيم حضارتنا هذا التسامح الديني العجيب الذي لم تعرفه حضارة مثلها قامت على الدين. إن الذي لا يؤمن بدين ولا بإله لا يبدو عجيبًا إذا نظر إلى الأديان كلها على حد سواء، وإذا عامل أتباعها بالقسطاس المستقيم، ولكن صاحب الدين الذي يؤمن بأن دينه حق وأن عقيدته أقوم العقائد وأصحها، ثم يتاح له أن يحمل السيف، ويفتح المدن، ويستولي على الحكم، ويجلس على منصة القضاء، ثم لا يحمله إيمانه بدينه، واعتزازه بعقيدته، على أن يجور في الحكم، أو ينحرف عن سنن العدالة، أو يحمل الناس على اتباع دينه. إن رجلاً مثل هذا لعجيب أن يكون في التاريخ، فكيف إذا وجد في التاريخ حضارة قامت على الدين وشادت قواعدها على مبادئه ثم هي من أشد ما عرف التاريخ تسامحًا وعدالة ورحمة وإنسانية ! وحسبنا أن نعرف أن حضارتنا تنفرد في التاريخ بأن الذي أقامها دين واحد ولكنها كانت للأديان جميعًا.

ح/ الأخوة والصحبة.

من قيم الحضارة الإسلامية أن المسلمين تربطهم رابطة الأخوة في الله تعالى، أي: الأخوة التي تقوم على التعاون على البر والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان، ولا تقوم على ضد ذلك، كما أنها لله، أي: ليست لمصلحة شخصية تزول بتحقيقها.

الأخوة في الله ولله أصلها الإيمان، وهي أعلى من أخوة القرابة والنسب؛ فهي لا تزول بزوالهما، كم قال الله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)[الحجرات:10] . لقد ذُكرت الأخوة في القرآن ما يقرب من ست وتسعين مرة، بمعاني مختلفة؛ منها ما يدل على المعنى الحقيقي للأخوة من النسب، ومنها ما يدل على الصحبة، ومنها ما يدل على حسن المعاشرة، ومنها ما يدل على الاتباع في منهج واحد، ومنها ما يدل على الأخوة في الدين...

والأخوة في الدين هي التي ربى النبي صلى الله عليه وسلم عليها أصحابه رضي الله عنهم، فضربوا لنا أروع الأمثلة في حقيقة الأخوة، وأنها ليست كلمة تُقال، أو دعوى تُعلن أو شعار يُرفع، وإنما هي حب صادق من القلب، وترجمة عملية بالأفعال فيها النصرة والتأييد والمواساة.

وفي المؤاخاة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار صفحة ناصحة في صفحات التاريخ الإسلامي لمن يريد أن يقتدي ... ولا نعلم دينا من الأديان استهدف الغايات التي ذكرت لصلاح حال المجتمعات، ليصل الإنسان بعدها إلى أقصى درجات الأخوة والسمو الإيماني، غير الاسلام، هذا الدين الذي أكمله الله، وأتمه، ورضيه للناس دينا.

ط/ الطهارة.

وهذه القيمة فريدة من نوعها في الحضارة الإسلامية، فالدين الإسلامي يعتبر الطهارة عبادة واجبة على كل مسلم ومسلمة، وقد جاءت أدلة كثيرة من الآيات والأحاديث على فضلها وحكمها وأنواعها ... ، وهي خلق من أجل الأخلاق الحسنة، وسلوك حضاري راقي:

أ/ يقول الله تعالى:{ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)}[البقرة:222]. { وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42)}[آل عمران:42]. { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)}[المائدة:6]. { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)}[التوبة:103]. { لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (108)}[التوبة:108]. { وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)}[الحج:26]. { وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (48)}[الفرقان: 48].

{ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)}[الأحزاب:33]. { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (77) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (78) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79)}[الواقعة: 77-79]. { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4)}[المدثر:4].

ب. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الطهور شطر الإيمان)).[106] ((ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله بذلك الذنب إلا غفر الله له)).[107] ((ما من مسلم يتطهر فيتم الطهور الذي كتب الله عليه فيصلي هذه الصلوات الخمس إلا كانت كفارة لما بينهن)).[108] ((من اغتسل يوم الجمعة فأحسن الغسل وتطهر فأحسن الطهور ولبس من أحسن ثيابه ومس ما كتب الله له من طيب أو دهن أهله ثم أتى المسجد فلم يلغ ولم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الأخرى)).[109] ((هو الطهور ماؤه الحل ميتته))[110] يعني: ماء البحر. ((أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟)) قالوا: لا يبقى من درنه شيء. قال: ((فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا)).[111]

وتحت ضوء هذه النصوص القرآنية والحديثية نستخرج هذه الفوائد:

أ/ ومفهوم الطهارة هو النقاء والزكاة والنظافة، وهي ظاهرة وباطنة تشمل القلب والجسد، وليست قاصرة على نظافة الظاهر.

ب/ والطهارة تكون في القول وتكون في العمل من المعاصي والمخالفات.

ج/ كما تكون في المطعم والملبس والمشرب والحي والشارع ...

د/ وتكون الطهارة حسية كالطهارة من النجاسات الحسية، وتكون معنوية كالطهارة من الشرك والكفر النفاق والرياء والكبائر ... ومن جميع الذنوب وآثارها.

([106]) رواه مسلم وغيره عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.
([107]) رواه أحمد وغيره عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
([108]) رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه.
([109]) رواه أحمد وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه.
([110]) رواه أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه.
([111]) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

هـ/ ومن وسائل الطهارة سنن الفطرة، والوضوء والاغتسال والصيام والعمرة والحج ...فهذه العبادات وغيرها يحصل بها طهارة الظاهر مع الباطن.

الطهارة في الحضارة الإسلامية منظومة متكاملة فهي نظافة القلب والقالب والروح والبدن نظافة المسكن والملبس والحي والشارع نظافة الثوب والفرش والأثاث نظافة يومية وأسبوعية... فسبحان من شرع هذا الدين الذي يتضمن كل ما فيه صلاح البشر وصلاح الحياة والأحياء.

النظافة الشخصية والرؤية الغربية للبيئة.[112]

من أوضح المظاهر التي تُثبت أنَّ الرؤية الغربية للبيئة كانت استنزافًا واستعمالًا فقط دون مبالاة لجانب الحماية للموارد البيئية، مسألة النظافة الشخصية ونظافة البيوت والطرق والأماكن.

منذ العصور الوسطى سرت بين الرهبان حركة واسعة؛ ترى من الزهد الابتعاد عن النظافة والتطهر بالماء، وبلغوا في هذا غرائب! فلقد كان أعظمهم هو أزهدهم في الماء، حتى إنَّ الراهب أنتوني سُجِّل من "مناقبه" أنَّه "لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره"[ليكي: تاريخ أخلاق أوربا (ص/iv)، نقلاً عن: أبي الحسن الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (ص/151)].

ينقل الرَّحَّالة المسلم ابن فضلان في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) صورةً عن روسيا يقول فيها: "وهم أقذر خلق الله لا يستنجون من غائطٍ ولا بول، ولا يغتسلون من جنابة، ولا يغسلون أيديهم من الطعام... ولا بُدَّ لهم في كلِّ يومٍ من غسل وجوههم ورءوسهم بأقذر ماءٍ يكون وأطفسه، وذلك أنَّ الجارية توافي كلَّ يومٍ بالغداة ومعها قصعةٌ كبيرةٌ فيها ماء فتدفعها إلى مولاها فيغسل فيها يديه ووجهه وشعر رأسه فيغسله ويسرِّحه بالمشط في القصعة، ثُمَّ يمتخط ويبصق فيها ولا يدع شيئًا من القذر إلا فعله في ذلك الماء، فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه، ولا تزال ترفعها من واحدٍ إلى واحد حتى تُديرها على جميع من في البيت، وكلُّ واحدٍ منهم يمتخط ويبصق فيها ويغسل وجهه وشعره فيها"[رسالة ابن فضلان ص151، 152].

(112) انظر: النظافة الشخصية ورؤية الغرب للبيئة. راغب السرجاني. https://islamstory.com/ar/artical/. تاريخ:2017/8/17م.

ويصف المؤرخ الكبير (ول ديورانت) الحالة في لندن في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، يقول: "ولم تكن الشوارع فيها مرصوفة فكانت العربات ترش –مزهوةً- ماء المطر أو الوحل على المشاة وهي تصطدم بالجدران في الأزقة الضيقة، وكانت المنازل ضيقة جدًّا بعضها من بعض، والأدوار العليا متلاصقة متقابلة ممَّا لا يدع مجالًا لضوء الشمس المتقطع أن ينفذ إليها. ولم يكن نظام المجاري الحالي معروفًا في لندن آنذاك، بل كانت مراحيض خارجية وبالوعات، وكانت العربات تحمل الفضلات وتقذف بها خارج حدود المدينة أو في نهر التيمز بطريقٍ خفيفةٍ غير مشروعة"[ول ديورانت: قصة الحضارة 128/32].

لا يتحرك أحدٌ لتغيير هذا الوضع إلا عندما تبدأ المشكلات في الظهور، ولقد ظهرت الأزمة البيئية لإهمال الصرف الصحي بشكل واضح في منتصف القرن التاسع عشر وتحديدًا في عام 1854م على يد (جون سنو)؛ فلقد انتشر وباء الكوليرا في منطقة سوهو في لندن، وقد تسبَّبت أوبئة الكوليرا وحمَّى التيفود في أن تفقد المدن المزدحمة في أوربا مئات الآلاف من الأشخاص الذين لقوا مصرعهم في أسوأ حالات تفشِّي المرض، وقد اتَّفق كثيرٌ من الأطباء أنَّ للمرض علاقة بالقذارة إلى حدٍّ كبير؛ فقد شهد الصرف الصحي في هذا الوقت تراكم بول وبراز الإنسان مختلطًا بنفاياتٍ أخرى متعفِّنة في بالوعات مجاري نتنة في الشوارع، وكانت حالات الوفاة أخطر بين الفقراء في الضواحي المزدحمة الرطبة القذرة التي لا يُوجد بها صرفٌ صحيٌّ مناسب. لقد سادت فكرة أنَّ الهواء المتعفن من أثر الصرف الصحيِّ هو المتسبب في الكوليرا، بينما أثبت الطبيب البريطاني (جون سنو) أنَّ الأمراض تنتقل عن طريق الماء الملوَّث، واستخدم خريطةً لبحث انتشار المرض ليكتشف أنَّ ضحايا الكوليرا يسكنون بالقرب من بئرٍ معين ومضخةٍ في أحد شوارع لندن، وأمَّا الآخرون فإنَّهم لم يُصابوا إلا إذا أرسلوا أطفالهم مدارس بالقرب من هذه المضخة، ولمَّا أزال (سنو) مقبض هذه المضخة لئلَّا يتمكَّن أحدٌ من فتحها واستعمالها انتهى المرض تقريبًا، وبهذا ثبت انتقال المرض عبر الماء.[ديفيد إليارد: موسوعة الاكتشافات العلمية (ص/381، 382)]..

في عام 1847م أي في منتصف القرن التاسع عشر وأثناء محاولة الطبيب النمساوي (إجناز سميلويس) تَفَهُّم كثرة حالات الوفاة بين السيدات حديثي الولادة في فيينا بمرض حمَّى النفاس –حتى بلغت واحدة من كلِّ عشر نساء– ظهر له كثرة حالات الوفيات في القسم الذي يتدرَّب فيه طلاب الطب على تشريح جثث المتوفيات عن القسم الذي يتدرَّب فيه القابلات والممرضات، ثُمَّ اكتشف اكتشافًا ذا دلالة؛ ذلك أنَّ الأطباء يتوجهون مباشرةً من تشريح الجثث المصابة دون غسل أيديهم إلى توليد النساء الأخريات، فينقلون بذلك العدوى بحمَّى النفاس من المتوفيات، وعندما قام الطلاب بغسل أيديهم في محلول الجير المعالج بالكلور انخفضت الوفيات إلى 2%، وعندما تم تطهير أدوات الجراحة انخفضت إلى 1% فقط، ولم يلق اكتشافه هذا ارتياحًا من زملائه الذين رفضوا أن يكون سلوكهم "غير النظيف" هو السبب في الوفيات السابقة، فرفضوا آراءه وطردوه من فيينا ...[ديفيد إليارد: موسوعة الاكتشافات العلمية (ص/351، 352)].

لقد كان من الطبيعيِّ ألَّا ينتبه فكرٌ تأسَّس على استهلاك البيئة إلى حمايتها، طالما لم تبلغ أضرار تلوثها ما يُؤثِّر على الأرباح المتوقعة، وهذا ما أدَّى إلى معركة البيئة مع الفكر المادي ...

الخاصية الحادية عشرة: حضارة وسطية وتوازن.

والمقصود بالوسطية هنا عدم التشدد وعدم الانحلال فكلاهما منهي عنهما شرعا، أما التشدد فإنه يفضي إلى حمل النفس على ما لا تطيق من الأوامر والنواهي، وأما الانحلال فإنه يؤدي إلى ترك الأوامر والوقوع في النواهي.

ولهذا شرع الله تعالى التيسير ورفع الحرج والرُّخصة والضرورة والحاجة؛ ليتمكن الإنسان من الاستمرار في عبادة الله وعدم الانقطاع عنها.

وأصل الوسطية في الحضارة الإسلامية نابع من هداية القرآن الكريم و هدي السنة النبوية الذيْن جعلا الحضارة الإسلامية –في جميع مجالاتها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية والتربوية ...– حضارة متوازنة كجناحي الطير يسير في طريق مستقيم، الذي هو أقرب الطرق إلى الحق وأسهلها.

قال الله تعالى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا }[البقرة:143]. أي: جعلناكم أمة خيارًا عدولًا، وسطًا بين الأمم كلِّها، في العقائد والعبادات والمعاملات.[113]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة)).[114] وقال: ((بعثت بالحنيفية السمحة)).[115] وقال : ((القصد القصد تبلغوا)).[116]

والحنيفية السمحة هي الملة السهلة والدين اليسر وهذا أصل يقوم عليه الإسلام وحضارته.

وقد تبين من تاريخ الحضارات السابقة أن كلاً من الجوانب الروحية البحتة، أو المادية البحة وحدها لا تصلح أن تكون سبيلا لسعادة الإنسان، فليس في مسلك الروحية البحتة سوى التخلف، وتعطيل الإرادة والتفكير وطاقات العمل، وقتل آدمية الإنسان، وخسارة منافع الكون، وكذلك ليس في مسلك المادية البحت سوى الطغيان والظلم والاستعباد والذل، والتحكم الغاشم بالأرواح والأموال والأعراض.

من مظاهر الوسطية والتوازن.[117]

أ/ التوازن بين متطلبات الروح ومتطلبات المادة.

أو بين المادية والروحية الإنسانية، فتصبح الروحية المهذبة أساس المادية المهذبة، وعندها ينعم الإنسان بالإرادة والحرية والتفكير وثمرة الجهود والعمل، في إطار من الإيمان والأخلاق القائمة على العدل والأمن والاستقرار والرحمة والمحبة.

([113]) المختصر في التفسير. (ص/22).

([114]) رواه أحمد وغيره عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. السلسة الصحيحة: 881.

([115]) رواه أحمد وغيره عن أبي أمامة رضي الله عنه. المرجع نفسه: 2924.

([116]) رواه البخاري: 6463. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

([117]) ماذا قدم المسلمون للعالم ؟ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية. راغب السرجاني. (ص/55-59). الحضارة الإسلامية. إبداع الماضي وآفاق المستقبل. عبد الحليم عويس. (ص/20، 22).

ب/ الوسطية بالجمع بين علوم الشرع وعلوم الحياة.

فقد جاءت كلمة (العلم) في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم مطلقة، دونما تقييد أو تحديد، فهي تشمل كل علم نافع يهدف إلى خير الدنيا وعمارة الأرض ... وكل علم يهدف إلى إصلاح الناس، والقيام السليم بواجبات الخلافة البشرية على هذا الكوكب، فهي تعني-في أكثر الأحيان-العلم بشقيه الشرعي والحياتي ...وكل ما جاء من مدح للعلماء، فهو لكل عالم نفع الناس بعلمه، سواء كان شرعيا أو حياتيا. وهذا المنهج المتوازن مغاير لتلك الحضارات التي سيطر فيها الدين على القوى الفكرية والعلمية، وبات يمنع العلم ويكبل التفكير وإعمال العقل.

ج/ التوازن بين الدنيا والآخرة.

يدل عليه قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10)}[الجمعة:9-10]. ففي هاتين الآيتين توازن عجيب بين مطالب الدنيا كالبيع والشراء وبين مطالب الآخرة كصلاة الجمعة، حيث جعل لكل مطلب وقته مع دوام كثرة ذكر الله تعالى على كل حال؛ لأنه من أسباب النجاح في الدنيا والأخرة.

د/ التوازن بالجمع بين المثالية والواقعية.

الإسلام دين مثالي وفي ذات الوقت واقعي، فهو ينشد للمسلم الكمال والمثل العليا دائما، ولا يكلف الناس إلا وسعهم. ففي المثالية تحرص الحضارة الإسلامية على إبلاغ الإنسان إلى أعلى أفق ممكن من المستوى العالي الرفيع، في يسر وراحة وطمأنينة، وفي الواقعية تراعي حضارة الإسلام ظروف الإنسان وفطرته، وحدود طاقته، وطبيعة تكوينه، وواقع حياته.

وليس في الإسلام تلك المثالية الخيالية التي لا وجود لها إلا في عالم الأحلام، مثل التي أنشأها أفلاطون في المدينة الفاضلة، والتي هي بعيدة كل البعد عن واقع الإنسان وما ركب فيه من غرائز ونزعات، ويعتريه من نقص وقصور.

كما أنه ليس في الإسلام تلك الواقعية التي تعني الرضا بالواقع أيا كان وضعه وصورته، أو أن تطوّع حضارة الإسلام مبادئها لتوافق شهوات الناس وأنظمتهم وأوضاعهم المختلة وتقليدهم المعوجة ...

هـ/ التوازن في الحقوق والواجبات.

فالحضارة الإسلامية ترى أنه من حق لفرد أو جماعة إلا كان واجبا على غيره؛ فحقوق المحكومين إنما هي واجبات على الحكام، وحقوق المستأجرين إنما هي واجبات على المالكين، وحقوق الأولاد إنما هي واجبات على الوالدين ... وهكذا، ومن خلال أداء الواجبات تراعى الحقوق.

وقد اتجه الإسلام إلى تحقيق التوازن في الحقوق والواجبات بين الفرد والجماعة؛ ليوازن بين النزعة الفردية والمصلحة الاجتماعية؛ فالإنسان ليس وحدة حياتية مستقلة عن بقية أفراد المجتمع، بل لا بد له أن يعيش ضمن دائرة المجتمع، ويتبادل المنافع والمصالح، وينشئ العلاقات، ومن تلك الروابط نشأت الحقوق والواجبات، التي نظمتها الشريعة الإسلامية.

هذه هي بعض خصائص حضارتنا وميزاتها في تاريخ الحضارات، ولقد كانت بذلك محل إعجاب العالم، ومهوى أفئدة الأحرار والأذكياء من كل جنس ودين، يوم كانت قوية تحكم وتوجه وتهذب وتعلم، فلما انهارت وقامت من بعدها حضارة أخرى، اختلفت الأنظار في تقدير قيمة حضارتنا، فمن مزرٍ بها ومن معجب، ومن متحدث عن فضائلها، ومن مبالغ في الانتقاص منها، هكذا تختلف أنظار الباحثين الغربيين اليوم في حضارتنا، وما كانوا ليفعلوا ذلك لولا أنهم وهم الذين بيدهم مقاييس الحكم وعنهم تؤخذ الآراء، هم الأقوياء الذين يمسكون بدفة الحضارة اليوم، وإن الذين يُحكم عليهم وعلى حضارتهم هم الضعفاء، الذين تتطلع أبصار الأقوياء إلى استلاب خيراتهم، وحكم بلادهم بشره وجشع، ولعله هو موقف القوي من الضعيف يزري به وينتقص قدره. كذلك فعل الأقوياء في كل عصور التاريخ، إلا نحن يوم كنا أقوياء فقد أنصفنا الناس قويهم وضعيفهم، وعرفنا الفضل لأهله شرقيهم وغربيهم، ومن مِثلُنا في التاريخ، عدالة حكم، ونزاهة قصد، واستقامة ضمير ؟